رواية

آدن

محمد مهدي صادق

بطاقة الكتاب:
اسم الكتاب: آدن
اسم الكاتب: محمد مهدي صادق
نوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 123صفحة
المقاس: 14x 20
رقم إيداع:
الترقيم الدولي:
الطبعة: الأولى، 2023م

رئيس مجلس
الإدارة
مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:
00201129195867-00201033966291

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناشر عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية, كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

فريق عمل

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

فريق عمل

سحر الروايات - ShrElRawayat

تصـــــــــــميم غـــــــــــلاف:

تـــــــــــدقيق لغـــــــــــوي:

الـتـنـســـــــــق الـداخـلـــــــــي: نـــــــــــرمين ســـــــــــرور

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

إهداء

إهداء مميز للقارئ الذي سيدفع (آدن) لاعتلاء منصات التتويج في هذا العالم أو ربما عوالم أخرى .

مقدمة

تختلف الأزمنة و فرضياتها و نظرياتها و أشخاصها ، فتتحول الثوابت لأمور هشة و تصبح المستحيلات أمور بديهية مسلم بها ، و يتبدل الأشخاص من حين لآخر و من زمن لآخر و ربما من عالم لآخر ، قد تختلف الأسماء و لكن يتوحد المصير الوجودي المشترك و يتضح ذلك جليًا للقارئ بعد الانتهاء من قراءة الرواية .

في هذه الرواية التي يغلب عليها الطابع الاجتماعي الرومانسي الفلسفي بصبغة من الخيال العلمي يتم التحرر من كافة القيود الفكرية و المجتمعية و الإنسانية و النمطية المسبقة لينطلق معها القارئ بقوة و عنفوان نحو أفاق بعيدة و جديدة في عالم أو عوالم موازية ، يتخلل ذلك الولوج بعقله أو قلبه أو وعيه أو لا وعيه لداخل الحدث ، ليتعاطف مع لحظة حزن أو ألم أو لينتشي بمشهد رومانسي عميق أو ربما يرتفع لديه هرمون الأدرينالين من خوف و ترقب و قد يزداد الأمر إثارة حينما يعي القارئ أن البديهيات المطلقة أمر خاطئ و أن الأحلام و التهيؤات و المعجزات و الإبحار في عالم الغد المبهم ما هي إلا حقائق و وقائع تم تأجيل إعلانها .

عشرات من الأسئلة التي سيتم طرحها قبل و أثناء و بعد الانتهاء من قراءة الرواية لن يكون لها إجابة نموذجية ، و لكن سيكون لكل قارئ إجابة نموذجية خاصة به ، كما سيكون قادرًا على تكوين أبعاد رؤيته الخاصة عن الأمس و اليوم و الغد القريب و الغد البعيد ، سيتمكن كل قارئ على حده من رؤية أبطال الرواية بصورة مختلفة عن غيره ، بل و صياغة محاور بديلة للرواية و للواقع و للحياة ، سيرى ذاته بين طيات الأحداث و بين أروقة المشاهد ، و ربما سيرى نفسه (آدن) .....

ثلاثة فصول للرواية :

الحياة ، الممر ، الحقيقة

من بإمكانه امتلاك الحقيقة ؟

من سينجو بالحياة أو سينجو منها ؟

هل هناك شيء ما يفصل بين الحياة و الحقيقة ؟

هل هو ممر أو ما شابه ؟

و هل علينا جميعًا أن نسلكه أم يكفي قيام البعض بتلك المهمة ؟

أزمنة عديدة مختلفة بشخصيات متعددة ، ربما متشابكة و ربما متباعدة و قد يكون هناك رابط بينهم أو تكامل و ربما مجرد تشابه شخصيات و أحداث ، لا أود الاسترسال في المضمون و المحتوى المباشر للرواية كي لا أقلل من شغف القارئ لها ، و لا أريد أن أجعله موجهًا لرؤية أو أطروحة معينة .

عزيزي القارئ أنت البطل الحقيقي للرواية و عليك الاستعداد للانطلاق نحو المجهول ، عليك الاستعداد لمواجهة الحقيقة وحدك .

محمد مهدي صادق

القاهرة

في 16 يونيو 2022

الفصل الأول

(الحياة)

تنتفخ أوداجه و تنتفض عروق جسده و تظهر جلية برقبته القصيرة و تتطاير الحمية و الحماسة الشبابية من عينيه ، يبدو مشتاطًا غضبًا أو ربما قهرًا أو قد يكون تآلفًا و دعمًا و مساندة للبعض ، متعرقًا رغم برودة أجواء ديسمبر ، يرفع ذراعه الأيمن ذهابًا و إيابًا كما يفعل أقرانه بالساحة ، تلك الذراع التي لا تكل أو تمل من التلويح إلا من استعادة وضعية قبعة الرأس الطولية الحمراء ذات الخيوط المسدلة على جانبها ، تصدح حنجرته بهتافات تتشابك مع حناجر شتى لتُشكل و ترسم لوحة غضب كبيرة ، يتكاتفون قبل أن يعرجوا بانسيابية من شارع جانبي لشارع عمومي ليلحقوا بركب الحشود الضخمة المكونة من آلاف البشر و التي تختلف هيئاتهم إلا من القبعة الطولية الحمراء ذات الخيوط المسدلة و هتاف

(سعد سعد يحيا سعد .....)

صالح جاد الله الشاب و الطالب بإحدى مدارس المحروسة الصناعية ، انتابته بلا إعداد أو تمهيد لحظة من لحظات النضال الوطني التي قلما تحدث له أو لأحد أفراد عائلته المسالمة المستكينة الراضية بمصيرها و القابعة بحارة لا تختلف عن بقية حارات قاهرة المعز ، واقع الأمر أن ما حدث لم يحدث إطلاقًا له أو لعائلته ، ما حدث أن حمية الشباب و أصداء حناجرهم و تكاتفهم أثار حفيظة و دافعية صالح فقرر الانخراط بين أروقتهم ، و لكن ماذا سيحدث ؟

&

يتدلى الليل سريعًا وسط اصطفاقات هواء بارد جدًا مختلطًا بنذير نوة شتوية و أمطار رعدية قادمة ، فشواطئ المعمورة و شاليهاتها لا يتذكرها أحد في نهاية العام

أو في قلب الشتاء قارص البرودة إطلاقًا ، إلا إذا كان من قاطني الإسكندرية أو مختبئًا من شيء ما أو إن كان (محمود) .

يقترب محمود ذلك الرجل الأربعيني ذو اللحية الخفيفة التي تكاثرت بعض نبتتها البيضاء على استحياء في خلسة من الزمن و إن كانت ما زالت تمثل استثناءً ، و شعر رأسه بني اللون بدرجة فاتحة و الذي يبدو ناعمًا و لم تجرؤ الخصلات البيضاء أن تبدأ رحلتها معه بعد ، شعر ناعم يخبرنا بدليل شبه قاطع أن صاحبه

منعمًا أو ربما كان ذلك ، يخطو محمود خطوات متثاقلة متأنية مترنحة قليلا بكامل أناقته التي لا يقلل منها ترك مهمة حمل سترة الحُلة لكتفه الأيمن أو الوضعية المتهدلة عن غير هدى لقميصه و رابطة عنقه التي خشيت عليه من الاختناق فتحررت من إحكامها الجيد و تمايلت جانبًا ، تلك الأناقة تنم عن ثري أرستقراطي ، و لكن هناك حلقة مفقودة تجعلك لا تدرك ماهية هذا الرجل على وجه الدقة .

يتأبط إحداهن قبل أن يدلفا داخل الشاليه ، لا يبدو عليهما أثر لقسوة البرد أو صقيع ديسمبر ، قد يكون ذلك ناتجًا عن سيرهما لمسافة طويلة أو احتسائهما للمزيد من الكحوليات أو عن لوعة حب ساحرة متقدة بينهما تمثل مصدرًا للدفء و لهيب المشاعر ، ما أن أوصدا الباب خلفهما حتى خلعت الفتاة البيضاء معطفها الأزرق من الفراء الرخيص لتظهر كفتاة ليل محترفة بتنورة جلدية سوداء ضيقة تنتهي فوق الركبة بكثير لتكشف عن فخذين باحتياج و اشتياق لأن يباغتهما أحدهم ليروي ظمأهما ، لا تقل كنزتها الحمراء ضيقًا عن تنورتها لتكشف هي الأخرى عن ساعدين مهترئين و بطن و تجويف صدري كاد يختفي عن إثر تدافع شهواني بين نهدين مكتظين باللحم ، و يبدو أن سعاد على درجة عالية من الاعتياد على الشاليه و المجيء إليه ، ما أن خلعت معطفها و قبل أن تخلع ما تبقى من ملابسها توجهت

سعاد لموضع أكواب لتجلب زوجين منها كي تفرغ فيهما ما تبقى من إحدى زجاجات النبيذ الأحمر من ليلة حمراء سابقة ، بينما يقف محمود مسمرًا أمام لوحة تقويم ورقية يبدو عليها القدم و بالفعل لم تُسدل أوراقها منذ أربع سنوات و نصف ، تحديدًا عند يوليو 1952

(ديسمبر 1984)

متمتمًا ببعض الكلمات الغير مسموعة أو مفهومة له أو لغيره ، يتأهب الشيخ كامل الثلاثيني مكتنز البنيان قمحي البشرة ذو اللحية الكثة السوداء لحدث جلل ، يتناول الشيخ أو المهندس كامل سجادة الصلاة الخاصة به ليقف وسط ردهات إدارية لمصنع المنسوجات الذي يمتلكه أحد أقارب صهره بالمحلة الكبرى ، يقف مؤذنًا معلنًا عن صلاة الظهر مترقبًا بعينيه يمينًا و يسارًا مجيء البعض و محدقًا بتوعد لا يملكه لمن أبى المشاركة ، إلى أن باغته ظهور فاتنة المصنع أو الفتاة الحريرية (هكذا يلقبونها و ربما كان السبب كونها تعمل بمصنع منسوجات) و قد وقفت مزهوة بقوامها الفتان الممشوق عن استدارة بأحد المكاتب الأمامية لتنهي بعض الأعمال ، فتمهل الشيخ كامل قليلا و أطال أمد الإقامة ، فلماذا التعجل من الأمر و صلاة الظهر ممتدة للعصر ، و قد مد أصبع إحدى يديه لداخل أذنه بحركة عفوية ليمسح ما تبقى من أثر ماء الوضوء ، أما اليد الأخرى فكانت تعرف طريقها جيداً نحو مداعبة ما أسفل بطنه و ما وراء سحابة السروال ، حتى تختفي الفتاة الحريرية فينتظر قليلا حتى يُهدئ من روع ما كاد أن ينتصب مشدوهًا ، و يلتفت للوراء بنصف استدارة و نصف نظرة ليصيح بصوت جهوري قميء (استقم) .

(ديسمبر 2020)

10 آدن
محمد مهدي صادق

صرخات متوالية متواترة تُطلق من فم سيدة ستعجز حقًا عن تحديد عمرها فكل الاحتمالات واردة كما ستحتار في تحديد سبب الصراخ و السباب الصادر على

لسانها ، فمن يُسب و يُلعن يقبع بالطرف الأخر من المكالمة عبر هاتفها الخلوي فلا سبيل لمعرفة هويته على وجه الدقة كما أن الكلمات تحمل العديد من التخمينات ، فقد يكون الخلاف مع زوجها حول أمور أو مشكلات حياتية معتادة أو مع مطلقها حول أمور تتعلق بأطفالهم و مصروفاتهم و رعايتهم أو قد يكون من بالجانب الأخر هو مديرها بالعمل و قد فاض بها الكيل من تعنته الإداري أو غريزته الهائجة أحيانًا بعشوائية أو أحد أطفالها و قد اعتلته فطرة الغباء و اللامبالاة و التبلد المعتادة لدى الأطفال و الشباب و الناس عمومًا أو أحد أقاربها أو ..... أو .....

واقع الأمر أن المرأة كانت ترتدي قناعًا واقيًا على فمها و أنفها كسائر المارة ، فالعام 2020 كان عام الأوبئة العالمية ، لم يخفِ القناع ملامحها الحادة متوسطة الجمال نسبيًا بصورة تكاد تكون مماثلة لنظيراتها في البلاد التي أرهق الفقر و المرض و الجهل و قلة الحيلة أهلها ، ربما مع القليل من رغد العيش ستكون امرأة فائقة الجمال و الإثارة و الدلال و الإغواء ، كما لم يكن القناع حائلا من أن يسمع القاص و الدان من المارة عبر دائرة قطرها عشرات الأمتار صوت صراخها ، و لكن من يلتفت للآخر بساحة حافلات مكتظة بعشرات السيارات و آلاف البشر كساحة عبد المنعم رياض بوسط القاهرة ، تتحول المرأة بسرعة كبيرة من الشعور بالسخونة والغضب حين المكالمة للبرودة و الهدوء بعد انتهائها بدقائق ، حقًا طقس ديسمبر لا يضاهيه جمالا عند العشاق ، توحشًا و غربة و وحدة عند المهجورين ، بردًا و قسوة عند الفقراء ، تتلفت أمنية يمينًا و يسارًا و كأنما تتذكر حياتها ما قبل المكالمة و ماذا عليها أن تفعل أو ما الذي أتى بها إلى هنا و ما هي وجهتها القادمة ، تتنفس الصعداء ثم تهندم ملابسها و تضبط وضعية نهديها بداخل حمالة صدرها

11 آدن

محمد مهدي صادق

ثم تحتضن ذاتها بذراعيها و لا نعي إن كان ذلك الاحتضان يشي بالوحشة أو بالبرودة و لكنه على أي حال لا ينم عن عشق .

*يرقد على ظهره ممددًا ساقيه لتتشابك قدماه كما تشابكت كفا يده خلف رأسه ، يئن من صمت مطبق سيتبقى على زواله بضع ساعات ، يتنفس بصعوبة ، تحلق عيناه مرغمة في محيط صغير لا يتجاوز ضعف حجمه طولا و عرضا ، يقوضه سياج زجاجي تنعدم الرؤية من خلفه تمامًا ، يتثاءب ، يتلوى في رقدته ، يوخز إحدى أضلعه بطرف أنمله ليغط في سبات يبدو عميقًا بعد ثلاث ثوان .

آدن هذا الشاب الذي لم يكمل الخامسة و العشرين بعد ، ذو بشرة بيضاء ، يكسو جسده الشاحب ندبات تشي بكونه مريضًا و قد لا يعلم أو ربما مجرد كونه ضعيفًا و هزيلا .

تعلن شاشة عرض فراغية صغيرة متواجدة في العدم عما تبقى من وقت تنازلي (يتبقى تسع ساعات و أربع و عشرون دقيقة و أربعون ثانية ، أسفل الشاشة الافتراضية يوجد تاريخ اليوم و هو أحد أيام شهر ديسمبر من عام 2070)

**

(سعد سعد يحيا سعد .....)

هكذا كان الهتاف يهز الأرجاء و الساحات و تنخلع له القلوب ، لا موضع لقدم أخر و لا مخرج لأحدهم إن أراد ، فالجمع غفير لم يره صالح من قبل ، هتافات متسقة منسقة و كأنما يتقدمها و يقودها موسيقار و قائد فرقة موسيقية كبيرة ، فلا مجال للعبث هنا ، و لكن فجأة تختلط الهتافات و تشذ و تخفت و يبدأ الهرع و الهرولة

من البعض مرددين (إنجليز ..... إنجليز) ، و يسيطر على المشهد أصوات طلقات نارية تمتزج بغبار أتربة يزكم الأنوف و يحجب الرؤية من أثر الهرولة بعشوائية و التسابق من أجل النجاة ، أما الصفوف الأمامية من المتظاهرين فلم يكن لديهم رفاهية اتخاذ القرار ، لم يكن لديهم مفر سوى الالتحام بالجنود الإنجليز فقد يكون ذلك مسلكًا للفرار بأرواحهم و تفاديًا للاعتقال ، أما عن صالح ذلك الشاب الأسمر ذو الثمانية عشر عامًا فقد استطاع بخفة و دهاء أن يختلي بإحدى الحارات الجانبية قرارًا من مصير لم يخطط له و لم يكن في الحسبان ، و هو يراوده التفكير فيما سيحدث ، يحاول صالح أن يضبط أنفاسه بعدما اتخذ من إحدى السيارات ملجأ له و اضطجع أسفلها على بطنه و جعل من ساعديه متكئًا لذقنه ، محملقًا بطرف وبداية الحارة الملتحمة بالشارع الرئيسي لتلتقط عيناه من يسقط إثر رصاصات الإنجليز و من يُلقى القبض عليه و من تعلو صيحاته جراء إصابة أو ركلة أو غير ذلك ، يدور بعقله ما يمكن أن يحدث لوالده إن أصابه مكروه و ماذا سيصيب والدته و هو ولدها الذكر الوحيد مع أربع بنات و هو أصغرهم ، بل ماذا سيحدث له هو شخصيًا إن تم إلقاء القبض عليه و زجوا به في غياهب السجن أو جعلوا جسده يترنح على (حبل المشنقة) بعد محاكمة تثبت تورطه في تعكير صفو الإنجليز و اغتيال العديد من جنودهم و ربما التحرش و محاولة إيذاء نساء قادتهم ، واقع الأمر هو لا يعلم بأن الإنجليز محتلون من الأساس ، فقد وُلد و نشأ و هم جزء من نسيج الوطن ، هو بالكاد يعلم بان سعد (رجل طيب) ، تزوغ عيناه ذهابًا و إيابًا حتى تستقر على حذاء ميري يتهادى خلف أحد إطارات السيارة .

**

13 آدن
محمد مهدي صادق

يبتسم محمود و يختال بذاته على استحياء بينما يضع يديه بخاصرته كأنما يتذكر مجدًا زائلا أو نصرًا لم يتكرر له أو لغيره و هو ما زال مسمرًا أمام لوحة التقويم الورقية تلك ، فيعود بالذاكرة عمدًا لأربع سنوات مضت قبل أن يمتد بطش الثورة لأملاك والده يحيى باشا و تقتلع ثراءهم و عنفوانهم و تنتزع قصورهم و سياراتهم و أراضيهم ، لم تترك الثورة لهم شيئا ، فهي حتى لم تترك والده الذي مات بحسرته فكيف لمن كان مالكًا أن يصبح مملوكًا و كيف لمن كان ثريًا أن يصير فقيرًا كالعوام ، بينما استطاعت والدته الفرار خارج البلاد برفقة أخواته و بقية أفراد الأسرة ، ولكن تم منعه هو من المغادرة لسبب لا يعلمه ، يشاء القدر أن تغض الثورة البصر عن هذا الشاليه ، هو في الواقع لا يعلم إن كانت الثورة تعلم بوجوده أم لا ، و لكن ما يعلمه أن هذا الشاليه هو ما يملك في الحياة الآن بدون سند ملكية أو حق في التصرف بالإضافة للعديد من حقائب مكدسة بالملابس (تكرمت عليه الثورة و لم تصادرها ، ربما لا تود رؤيته عاريًا الآن) إضافة لنقود أوشكت على النفاذ و هي ما كان يكتنزها بعيدًا عن أعين الجميع ، تنحسر الابتسامة الصفراء عن وجهه حينما يتذكر زوجته سمية التي هجرته بمنتهى الخسة مصطحبة نجله و يقال أنها هاجرت إيطاليا برفقة رجل إيطالي كان يعتني بدروس الإيطالية لنجلها يحيى حينما كان اسمه يحيى ابن محمود بك حفيد يحيى باشا (و ذلك بعدما استطاعت الحصول على وثيقة طلاقها بطريقة أو بأخرى) ، يرتعش كاهله من مباغتة سعاد له بالاحتضان الخلفي معطية إياه كأس من النبيذ مصاحبة ذلك بضحكة رقيعة مفتعلة الإغراء مغلفة بأنوثة عطنة و هي تحدثه : (اتفضل يا باشا .....)

**

(ديسمبر 1984)

14 آدن
محمد مهدي صادق

أحد بيوت الريف المصري (قرية تابعة لمركز المحلة الكبرى) ، حيث يمكث الشيخ كامل مضرجًا في عرقه المتصبب (رغم برودة الطقس) بعدما أنهى واجباته الزوجية مع زوجته مصرية ، و التي لم تنجب بعد مرور خمسة أعوام من زواجهما ، لملّم كامل أعضاءه و بطنه المكتظة باللحم و أثداءه الرخوة داخل جلبابه الرمادي الفضفاض و جلس بجوار مصرية (التي لا تجرؤ على مناداته سوى بالشيخ كامل) ، مصرية التي لا يبدو عليها أثرًا لانتشاء أو رضا أو شبق ، واقع الأمر أنها غالبًا ليس لديها سابق علم بأن المرأة أيضًا تنتشي ، جلس كامل الذي لم يكمل العقد الرابع لنهايته بعد ينفث دخان سيجارته التي لا يشعلها سوى بعد الجماع فقط (و هو أمر غريب) ، الأمر الأكثر غرابة و عبثًا أن كامل دائمًا يظل يتذكر قمر تلك الفتاة الحريرية و خصوصًا أثناء معاشرته لزوجته مصرية و هذا ما اعتاد عليه منذ فترة ، يتذكر و يستجلب بذهنه جسدها الأبيض الأملس الحريري و صدرها المشدود بانتصاب و الذي لا يخلو من ليونة مرمرية و المُزهر بكل تأكيد بكرزتين ورديتين و شفاهها التي تُنادي كل ما هو على قيد الحياة ليقتطفها ، يتخيلها تئن أسفل جسده وجعًا و نشوةً و لذةً و متعة ، يتخيل نظراتها و هي تطلب منه المزيد و المزيد ، يتخيلها كثيرًا حتى ينفجر صنبوره و يسقي مصرية مؤكدًا بلا ارتواء و يرتعش و ينتشي دونها ، لتهرول بعد ذلك زوجته لتعد له قدحًا من الشاي قبل أن ينهي سيجارته و أحلام يقظته .

٨٨

ها قد أدركت أمنية أنها تنتظر إحدى الحافلات العامة التي تقلها يوميًا بعد أن تنهي عملها بإحدى الهيئات الحكومية إلى مسكنها بضاحية عين شمس ، ما هي إلا دقائق معدودة و تستقل ما تربو إليه ، فالسنوات كفيلة بأن تجعلها على دراية كاملة بموعد

كل حافلة قد أقلتها من قبل ، بالطبع يتخلل الأمر بضع سخافات و معاكسات عابرة و قد اعتادت أمنية على ذلك و باتت غير مكترثة لها ، حتى لمحت حافلتها تتهادى دخولا للساحة ، تهيأت أمنية من موضعها وقوفا للصعود للحافلة و امتزجت بمقعدها المعتاد و تناولت هاتفها الخلوي تتصفحه بوضعية آلية جوفاء كأنما هناك توافقية منشودة بين المقعد و الهاتف و أعينها و عقارب الساعة أما عقلها فهو غالبًا خارج سياق تلك التوافقية المُرغمة (الغير توافقية) ، دفعت أمنية مقابل تذكرتها و احتفظت بها كالمعتاد بين هاتفها و حافظته الخلفية و جعلت من حقيبتها السوداء الكبيرة الصلبة حائلا بين فخذيها و نهديها اللذين تذكرتهما توًا فقامت بالاطمئنان عليهما كالمعتاد أيضًا بصورة لا إرادية ، تمضي أمامها أخبار وسائل التواصل الاجتماعي تباعًا بلا تفاعل منها أو اعتناء أو اهتمام يبدو على وجهها ، ليشدو هاتفها بنغمة عمرو دياب (كلهم بيقولوا كدة في الأول) ، و على ما يبدو فهي نغمة رنين الهاتف ، فتجيب عليه بوابل من الصرخات و اللعنات لدقائق بلا استيعاب من بقية الركاب حولها و دون الوصول لجملة مفيدة ، لتتوهج و تتعرق ثم تعود لما كانت عليه ما قبل (بيقولوا كدة في الأول) حينما تنهي ذلك سريعًا و تعود لتصفح أخبار وسائل التواصل الاجتماعي النمطية ذات الطابع البارد .

**

تحتوي الشاشة الافتراضية على ساعة ميقاتية أخرى جانبًا تعلن عن بضع ثوان حتى الاستيقاظ .

و بالفعل يستيقظ آدن من نومه العميق ، و يبدو الآن أنه بضغطات معينة بأنامل محددة لأماكن بعينها بأضلعه يتحكم في نومه و موعد استيقاظه ، يمكث آدن هنا كما يبدو أسيرًا أو سجينًا ، هو بالفعل كذلك و لكنه سجين لتطبيق إليكتروني (

prison app) أو تطبيق السجن و قد تم اختراعه منذ بضع سنوات و هو عبارة عن مسابقات عالمية إلكترونية تقام بين عدد من المتسابقين عن بعد و من يخسر يجد نفسه سجينًا للتطبيق لمدة ساعات معينة حسب درجته و نسبته المئوية ، و التطبيق قادر على خلق هذا السياج حول الشخص بتقنية عالية لا يعلمها أحد ، و لن يتمكن أحدهم من الإفلات من العقوبة مهما حاول أو فعل ، كل ما على الشخص هو الاستسلام .

(يتبقى من الوقت على الحرية ساعة و خمس دقائق و عشر ثوان)

يتذكر آدن حينما استعمل تطبيق الموت أو death app و كاد أن يكون هو الضحية المرجوة التي ستلقى حتفها لولا الإفلات بالنتيجة قبيل النهاية ، و قد كانت تجربة قاسية مؤلمة و مخيفة جدًا و تعهد بألا يكررها ، أما ما لا يريد أن يتذكره فعلا فهو تطبيق ممارسة الحب أو making love app هذا التطبيق المثير و المتطور جدًا من تقنية الهولوجرام و الذي يسمح للشخص بأن يمارس الجنس مع من يريد وقتما يشاء بكافة الأحاسيس و اللذة المتوقعة و المشاعر الحقيقية و بتلك النشوة المرجوة تماماً ، كأنما يمارس الحب مع امرأة حقيقية تتأوه و تتجاوب و قد تعلن رضاها أو سخطها أو لعناتها و قد يزعج صراخها و صياحها الجيران فيطلبون له الشرطة ، و يضطر هو أن يخبرهم أنه مجرد تطبيق فيتم إغلاقه و حظره لفترة معينة عقابًا له على عدم ضبط الإعدادات جيدًا ، يتم ذلك كله في التطبيق دون أن يدري الطرف الآخر من العلاقة أي شيء و دون أن يشعر ، آدن لا يريد أن يتذكر ذلك فعليًا لأنه لا يريد أن يتذكر الطرف الآخر الذي أدخله معه في تطبيق ممارسة الحب .

**

17 آدن
محمد مهدي صادق

انتفض جسد صالح رعبًا و انهيارًا و تعرق بشدة (رغم برودة الطقس) يبدو أن هذا ما يطلقون عليه الأدرينالين و الذي يُطلق عند لحظات الخوف الشديدة و ذلك حينما رأى الحذاء النظامي يتهادى خلف إحدى إطارات السيارة ، ثم توقفت الخطوات و كأنما تخبر صالح أن اللعبة قد انتهت و لا مجال لمحاولة الاختباء الفاشلة تلك ، (فأنت هالك لا محالة) قالها صالح بعقله و أخذ يفكر سريعًا ماذا سيطلب منهم عند تنفيذ حكم الإعدام ، هل سيطلب مأكلا أم مشربا أم رؤية أهله و كيف سيتحمل دموعهم المنهمرة وسط ضحكات ساخرة من الجنود الإنجليز و هم يتابعون ذلك المشهد العبثي بدم بارد بلا تحريك ساكنًا أو إظهار أي مشاعر لعطف.

(أسرع بالخروج) ناداه صاحب الحذاء الميري بصوت أجش ، همَّ صالح بالخروج يحبو على يديه و ساقيه كطفل فاشل في تعلم المشي ، يحبو و هو يتساءل

من هذا !!! هل إنجليزي عشق الملوخية و النساء المصريات و الأهرامات فقرر البقاء للأبد و من ثمَّ تعلم اللغة العربية و صار كأبناء الوطن في نطقها أم ضابط مصري يعمل مع الإنجليز و يحابيهم على حساب وطنه !! هل هو مأمور بذلك من رؤسائه !! و ما اللوم الذي يقع عليه فهو منفذ للأوامر العسكرية ، لا مجال و لا وقت للسؤال عن الفرق بين الوطنية و الواجب و الخيانة فجميعها مسميات لن يكون لديه متسع من الوقت ليجادلهم فيها فربما كانت منصة الإعدام جاهزة على مقربة من هنا أو أنهم سيوفرون عناء إعدادها و سيطلقون عليه رصاصة مدوية تنهي تلك الإرهاصات ، خرج صالح تسبقه عيناه لمصير لا يعلمه ، ينهض من رقدته ليواجه بالشاويش شعبان ضخم البنيان ممتلئ الجسد مدور الوجه كث الشارب لدرجة أوهمت صالح أن هذا هو منفذ أحكام الإعدام بلا أدنى شك و أن التنفيذ بات حتميًا

18 آدن
محمد مهدي صادق

بصورة عاجلة ، يلتقطه شعبان تحت إبطه كربة منزل تخشى من فقدان بطة أو وزة قد ابتاعتها توًا من السوق أو كرجل بالغ يتمكن من أحدهم أثناء مشاجرة ما بغية تفادي الأضرار للجميع و إنهاءً للمشكلة ، اختطفه شعبان بسرعة و خفة بالغة لا تتناسب مع هذا الجسد الممتلئ ، و بعدة خطوات كانا قد دلفا لداخل أحد البيوت القديمة ، صعدا للطابق الثاني حيث مسكن الشاويش شعبان و الذي يعمل بالبوليس المصري و ها قد أنقذ صالح من براثن الإنجليز ، صالح الذي كان حتمًا سيلاقي ما لا يحمد عقباه إن وقع بأيديهم ، و بعد أن هدأ شعبان من روع الشاب نادى على نادرة ابنته لإعداد قدحًا من الشاي للبطل الأسمر صالح ، ما زالت ترتعد فرائس صالح و لا يفهم لماذا ينعته شعبان بالبطل ، حتى تجلت نادرة بحُسن خلاب أضناه ، نادرة ذات البشرة القمحاوية و العينين السوداويين و كذلك شعرها المجدول بعناية ، تحمل نادرة طاولة عليها قدح الشاي الثقيل كما يشربه والدها ، بمجرد أن رآها

صالح حتى تصبب عرقًا (رغم برودة الطقس) ، أدار صالح وجهه عنها سريعًا بعد أن تناول الشاي متوجهًا لوالدها شاكرًا له حسن الصنيع الذي أنقذه و الذي يعتبره جميلا لن يستطع أن يرده مهما طال الأمد ، ضحك شعبان و هو يهندم زيه العسكري فقد حان موعد ورديته في العمل و نظر لصالح و هو يتحدث عن ذاته بأنه بطل لا يقل عن سعد باشا في شيء و بالتأكيد الأيام كفيلة بأن تثبت ذلك ، لاحظ صالح استعداد شعبان للمغادرة فطفق بالنهوض كي يهبط معه فليس من الطبيعي أن يبقى وحده مع ابنته الحسناء ، و لكن لم يحدث ذلك بعد الكثير من الإلحاح بحسم من شعبان على عدم الموافقة لمغادرته الآن ، فالإنجليز بكل مكان و إن فعل فهو مقضي عليه و أبلغه أن المضيفة (غرفة الضيوف) له بشرط أن لا يغادرها حتى يعود ليلا ، لمعتا عينا صالح و لم يجد الكلمات التي تفي صاحب المنزل حقه ، ربت شعبان على كتف صالح و أدخله المضيفة و غادر إلى عمله .

19 آدن

محمد مهدي صادق

***

شربا محمود و سعاد نخب الليلة الرعدية الممطرة و نخب لياليهما السابقة و نخب كل شيء جميل ممتع قد ينسيهما ما لا يريدا أن يتذكراه تلك الليلة ، و احتضنها بشهوانية و عنفوان لا تنذر بها خطواته المتثاقلة و إبحاره في الماضي و لا يزكيه و يدلل عليه سابق سهراته مع سعاد التي عرفها منذ ثلاثة أعوام و قد صارت محظية له ، فسيرته الجنسية معها ليست دائمًا على ما يرام و على النقيض هي لا يشغل بالها ذلك فما يعنيها فقط نقوده التي أوشكت قريبًا جدًا على النفاذ ، و إن كانت أحيانًا لا تقبلها و تردها بصورة غريبة غير مبررة ، ألقاها محمود على الفراش كقطعة ثياب رثة بالية ، خلع ملابسه كاملة ، شرع بنزع ثيابها بنفسه بسرعة و قوة و مباغتة مفرطة ، بدا كوحش جسور يلتهم فريسته الأولى منذ سنوات عجاف ، طُبعت أنامله على ثدييها المكتظين باللحم و على ظهرها و ردفيها و فخذيها بعلامات حمراء يبدو أنها لن تمحى سريعًا ، تعالت صيحاتها و آهاتها في فضاء الخارج ، و هما غير عابئان بذلك قط ، لفظت سعاد لحظات انتشاء متعددة و كأن محمود قد تبدل أو كأنها المرة الأخيرة التي سيضاجع فيها امرأة أو كأنه يريد الانتقام منها أو من غيرها في صورتها ، سعاد كفتاة ليل خبيرة في فن إرضاء الزبون و جعله ينتشي كأن لم يخلق رجلا مثله لكنها فعليًا تئن و بدأت تنهش أظافرها بجلد محمود كي يبتعد عنها و لكنه كان كالمُخدَر بعد إجراء عملية جراحية لا يشعر بشيء ، حتى أفلتت من أسفله بأعجوبة و اتجهت نحو ركن من أركان الغرفة الصغيرة تنظر إليه و قد أُرهقت و أعلنت استسلامًا و لكن محمود لم يلحظ إفلاتها سوى بعد دقائق ، كانت السحجات تغطي جسدها بأكمله أما هو فأظافر سعاد جعلت من ظهره و صدره و وجهه قنوات ممهدة منحوتة ينبعث الدم من بعض

20 آدن
محمد مهدي صادق

مواضعها ، يلتفت محمود عائدًا لصوابه كمن كان في تنويم مغناطيسي عميق ثم عاد مجددًا .

***

(ديسمبر 1985)

(مصنع المنسوجات بالمحلة الكبرى)

أصبح المصنع شبه شاغر من العمال إلا القليل و من الإنتاج إلا ما ندر و من الموظفين إلا المهمين و منهم الشيخ كامل الذي تقلد منصب مدير إنتاج المصنع و شارك صاحبه بجزء من رأس المال بسعر بخس مستغلا حالة الركود ، و كان ذلك بعد (خراب مالطة) .

أنهى أحد خطوط الإنتاج طلبيته الأخيرة ، و بدأوا يبحثون عن الشيخ كامل لمشاورته في أمر عاجل يخص العمل ، و لم يكن بمكتبه ، بحثوا عنه بلا جدوى ، انتظروا حتى صلاة الظهر و لم يظهر بردهات المصنع أو بأي مكان ، حتى بادر ناجي رئيس العمال بالذهاب لمخزن التالف خلف قسم الإنتاج عله يجد الشيخ كامل ، بالفعل ما أن وصل ناجي بالقرب من مخزن التالف حتى وجده يخرج منه ينفث دخان سيجارته مما أثار اندهاش و تعجب ناجي ، فالشيخ كامل غير مدخن و لم يعهدوه كذلك ، بالطبع كان ينوي كامل إنهاء سيجارته قبل أن يراه أحدهم و لكن ما حدث أن رآه ناجي قبل أن يفعل ، اقترب منه قاطبًا حاجبيه ضاحكًا مستغربًا : (منذ متى و أنت تدخن شيخنا الجليل ؟) ، فيلقي كامل ما تبقى منها و يسأله عن سبب مجيئه للبحث عنه و قد سارا سويًا نحو قسم الإنتاج ، تلملم قمر أشياءها و تهندم

21 آدن
محمد مهدي صادق

ملابسها بداخل مخزن التالف (قمر التي أُنتدبت مؤخرًا لتعمل بمخزن التالف رفقة إحدى زميلاتها التي تصادف غيابها اليوم) .

***

تعبر الحافلة شوارع تلو الأخرى و محطات تلو الأخرى حتى محطة أمنية ، تهبط أمنية من الحافلة بعد وصولها ناصية تؤدي إلى شارعها لتسير عدة مئات من الأمتار و تعرج على إحدى بقالات أسفل منزلها لتبتاع ما تحتاجه ثم صعدت درج بنايتها للطابق الثالث حيث تقطن ، أدارت المفتاح بالباب لتدخل منزلها ، سكون و صمت مطبق و كأن الحياة بهذا المنزل لم تخلق بعد ، ظلام دامس جعلها تتحسس موضع مكبس الكهرباء الذي بالطبع تحفظه عن ظهر قلب ، رائحة العدم تنبعث من المنزل ، برودة الطقس تسبح بداخله رغم أن بداخل أمنية وهج و سخونة و صخب مستمر ، تتخذ أمنية مقعدها تتنفس الصعداء ، يبدو أن المنزل شاغر إلا منها ، لم تبحث أمنية عن أطفالها أو زوجها و لن تفعل ، صوت رنين هاتفها ينطلق بنفس النغمة ، تمسك بالهاتف تصب كامل غضبها و سخطها و لعناتها بكلمات و جمل مبهمة و غير مفيدة كالمرات السابقة على المتصل ، تشتاط غيظًا و غضبًا ثم تغلق الهاتف لتهدأ من جديد .

***

تتلاحق أنفاس آدن بوتيرة سريعة و هو يحسب كم تبقى من دقائق على انتهاء عزلته و سجنه رهن التطبيق ، لم تكن المرة الأولى التي يقبع داخل تطبيق السجن و لكنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالندم على تلك اللعبة السخيفة الغير مجدية ، يود الآن أن يعلن ذلك ، يعلن أسفه و ندمه بشرط أن يخرجه أحدهم من سجنه الزجاجي ، هو لا يرى ما خلف الزجاج ، حتى هاتفه الذي بحوزته لا فائدة منه الآن حتى تنقضي

فترة سجنه ، هكذا لوائح و أحكام اللعبة ، تزداد نبضات قلبه ، تتسارع أنفاسه ، يضيق الحاجز الزجاجي من حوله أو هكذا يظن حتى يكاد يهشم أضلعه ، يشعر بالندبات على جسده لأول مرة في حياته ، ينتبه لجلده الشاحب ، يحاول أن يتحرر دون جدوى ، يمسك بهاتفه يحاول إيقاف أو إبطال اللعبة ، الهاتف كقطعة حديدية حتى تنقضي الثلاثون دقيقة الباقية ، ينهض متكئاً على ركبتيه فارتفاع السجن لا يسمح سوى بذلك ، يحاول أن يكسر الحاجز الزجاجي دون جدوى ، تتألم يداه و على وشك أن تنكسرا ، يختنق و يختنق ، لا يستطيع التنفس .

****

دخل صالح لغرفة الضيوف بعد أن ودعه الشاويش شعبان و أغلق من خلفه باب المضيفة ، أدرك صالح أن شعبان ليس إلا مصري أصيل لم يرى مثله الكثير ، يخشى عليه أكثر من خشيته على ابنته من غريب لا يعرفه سوى منذ بضع دقائق و لم يره من قبل ولم يستدّل على أخلاقه أو تربيته ، زاحمته الأفكار ممزوجة بعودته لبيت أسرته سالمًا بلا مُصاب ، بينما تهادى إلى أعينه محتوى الغرفة من سرير صغير و ثلاثة كراسي عفا عليها الزمن و منضدة رخامية ، تجسدت أحلام اليقظة و سعة الأفق و الخيال الخصب لدى الشباب في مثل هذا العمر في قصة الحب المؤكدة التي ستولد بينه و بين نادرة و التي استهلت منذ قليل بقدح الشاي و ستتطور رويدًا رويدًا حتى تصل لتلك الورود التي ستزين ليلة العرس و التي غالبًا سيَختزل منها وردة حمراء لتعانق خصلات شعرها ، و قبل أن يتطرق ذهنه لما أبعد من ذلك زُلت قدماه على ما يبدو في حافة البساط المثني ليقفز خارج ردهة أحلامه أو ربما يُنهَر و يعاقب على تلك الأحلام فقد أخبره والده كثيرًا أن زلات القدم أو طرفة العين أو أي حادث عارض مؤلم أثناء التفكير أو التركيز في شيء ما هو عدم رضا و عقاب من الله على تفكير غير مقبول أو مكروه أو ربما محرم

23 آدن
محمد مهدي صادق

، يتمالك جسده قبل أن يهوى أرضًا و يخطف ناظريه صورة زفاف مثبتة على الجدار ، ما هي إلا ثوان معدودة حتى أدرك أنه شعبان قبل أن يمتلئ جسده و يترعرع شاربه و يوغل في التوحش و عروسه التي تشبه نادرة كثيرًا ، و لكن أين هي ؟ هو لم يرها ؟ ربما كانت نائمة أو بالخارج لدى أحد أقاربها ، هو لم يرى أم نادرة حتى الآن ...

طرقات قليلة خافتة على باب الغرفة لم يجب عليها صالح إلا بعد أن تكررت مرة أخرى ، لتخبره نادرة بأنها أعدت له طعام الغذاء فهو بالتأكيد لم يأكل منذ فترة ليست بالقليلة ، صمت صالح لوهلة و فتح الباب متمهلا متثاقلا ليشكرها مجددًا على حسن الضيافة بعد أن تناول منها طاولة الأكل و كرر شكره و لكنه يعلم هذه المرة سبب الشكر ، قد يكون لإطلالتها التي منحته فرصة جديدة لمواصلة حلم اليقظة و قد يكون حلم قيد التحول لواقع اجتذبه عنوة .

صالح) بعد وضعه الطعام على المنضدة ملتفتا لها مرة أخرى : (و لكن أين والدتك ؟

نادرة بتأثر : الله يرحمها ، توفيت منذ ثلاث سنوات إثر حادث أليم ، و منذ ذلك الحين و والدي هو كل عالمي و أنا كذلك بالنسبة له فأنا أيضًا وحيدة ليس لي أشقاء.

صالح هامسًا : الله يرحمها ، عوضك الله بوالدك خيرًا فهو مثال للرجل و الأب و السند الحقيقي ، أنقذني دون أن يعرفني و جعلني مؤتمنًا علي منزله و على ابنته و أنا عنكم بغريب ، و لكن لي سؤال كيف له بذلك دون خشية على وظيفته ، هو في النهاية رجل أمن ، كيف يخاطر بعمله و لقمة عيشه من أجلي أنا و هو يعلم أني مطارد من الإنجليز .

24 آدن
محمد مهدي صادق

نادرة : لا أخفيك سرًا و لكن فضلا اجعله كذلك حتى على والدي و كأنني لم أحدثك في شيء ، والدي منذ وفاة والدتي و هو يتبع الفدائيين الذين يقاومون الاحتلال الإنجليزي فهو كاره للإنجليز و لكل من يعاونهم .

صالح مشدوهًا : (اعتقد أن هناك خطب ما ، كان لا بد لوالدك أن يخشى عليك بعد وفاة والدتك أكثر من ذلك ، أنتِ بصدد خسارته في أي وقت ، لا أوافقه في ذلك .

نادرة : في الواقع والدي يخشى عليّ أكثر من نفسه ، لذلك هو يخاطر بحياته كي لا يؤول مصيري كوالدتي ، تنهدت بروية والدتي دُهست بسيارة عسكرية إنجليزية في وضح النهار و لم تتوقف السيارة حتى من منطلق الاطمئنان عليها أو صحوة الضمير و فروا من بالسيارة هاربون بمنتهى الخزي و الخسة و الجبن و من وقتها و الشاويش شعبان لا يتوانى عن مساعدة من يعكر صفوهم بأي طريقة أو وسيلة كانت و لتعلم أنني أؤيده في ذلك ، أنا كنت رفقة أمي وقت الحادث و لكنني نجوت (تشير له ليجلس و يتناول طعامه).

صالح (مندهشًا و لا يلبي طلبها) : كان الله في عونكما ، ما قد سُرد ليس بهين ، أنتِ تُشبهين شقيقتي الكبرى آمال في ملامحها و حكمتها و نضجها ، رغم صغر سنك لكنك تُشبهينها .

نادرة : أنا لست صغيرة ، أتممت الثامنة عشر منذ أسبوعين .

....صالح تسبقه لمعة عينه و قبل أن ينطق بكلمة و يساوره الكثير ليقال ....
طرقات عنيفة لا تهدأ على باب الشقة ، لتذهب نادرة مسرعة لترى من بالخارج و يرافقها صالح ، فتخبره بأن يعود للمضيفة و يغلق بابها فظهوره قد يعقد الأمر إن

كان هو المنشود ، يأبى صالح ذلك في البداية فكيف يتركها وحيدة و يختبئ حتى أصرت و أكدت له أنها كفيلة بذلك ، و اتجهت لتفتح الباب لتواجه بجندي إنجليزي بزيه النظامي المُثقل بالعتاد يحمل بندقيته و يسأل نادرة

(بلهجة حادة و لكنة عربية مترنحة تُفهَم بالكاد) عن شخص غريب لص و قاتل و يطلب منها أو يأمرها بتركه يمشط المنزل بحثًا كما فعل مع جميع سكان الشارع .

(صالح يترقب الموقف خلسة من خلف باب المضيفة المفتوح قليلا)

بعد إصرار و مناقشات و مشادات بين نادرة و الجندي الإنجليزي لتخبره أنها وحيدة في المنزل و ليس هناك سواها و لن تستطع السماح له بالدخول ، و يبدو أن الجندي شعر بصدقها حول عدم وجود أحد غيرها بالمنزل و اقتنع بقوة حجتها في عدم السماح له بالدخول و هَمَّ بالانصراف و هو يتدلى برأسه داخل المنزل كمحاولة أخيرة قبل المغادرة و يذهب بنظره يمينًا و يسارًا عله يجد شيئا أو شخص ما ، و يبدو أنه نال ما أراد عندما لمح على مرمى بصره حافظة سلاح جلدية فأدرك أن هناك شئ ما يريده ، كشر عن أنيابه و تأهب لما هو قادم و أشهر سلاحه نحوها مهددًا و متوعدًا ثم انهال عليها ضربًا بمؤخرة البندقية و ركلها بقدمه و دلف للشقة ، ما هي إلا ثوان معدودة عندما رآه صالح حتى انطلق مشتاطًا من ثكنته المتوارية مندفعًا نحوه و ملقيًا بجسده فوقه ليطرحه أرضًا مصاحبًا ذلك بلكمة قوية بينما تراقب نادرة بهلع و رعب بأحد أركان البهو بجوار الباب ما يحدث ، و تدوم المشاجرة حتى يركله الإنجليزي بقدمه و يطرحه أرضًا ليبعده نحو عدة أذرع منه و ينهال عليه ركلا بالأقدام و بمؤخرة البندقية ، يجذب صالح البساط الذي يقف عليه الجندي ليسقط على ظهره و تتحرر البندقية من يده ، يلتقط صالح كرسيًا خشبيًا بيده بغية أن ينهال عليه ضربًا و تأديبًا و انتقامًا لما فعله بنادرة ،

إلا أن الجندي باغته بالتقاط سلاحه من جواره و صوبه نحو صالح لتندفع رصاصة مدوية أنهت حالة الشد و الجذب مستقرة بصدر صالح ليسقط وسط دمائه المنهمرة ، يستلقي على ظهره متشبثًا بسروال الجندي و ما زال يريد الفتك به إلا أن إصابته كانت مهلكة ، يحرر الجندي نفسه من يد صالح منطلقًا لخارج الشقة تنتابه لذة انتصار ، يصب لعنات على كل شئ بينما تطلق نادرة صرخة محشرجة و تواري وجهها بكفي يديها بينما أصابها الرعب و الذهول لما حدث و لما آل إليه الموقف ، تندفع نحو صالح لتطمئن عليه فيمسك بيدها و كأنما يريد أن تكون أخر شيء يلمسه في الحياة قبل أن يفارقها ، ينظر إليها نظرات تشوبها ابتسامة أمل مفتقدة أو ربما تلاشت لغير هدى ، تذرف نادرة دموعًا مصحوبة بصراخ و عويل لشخص ضحى بنفسه من أجل إنقاذها و من أجل رد كرامتها إلا أن زفرة النهاية قد أطلقها صالح و أرادت يده أن تترك بغير إرادة يد نادرة إلا أن نادرة أبت ذلك و ظلت متمسكة بيده لتسقط دموعها على جسده و تختلط بدمائه معلنة النهاية .

****

استعاد محمود وعيه و إدراكه و نظر لسعاد مؤنباً ذاته و متجهمًا عن إثر فعلته ، فذهب إليها يحتضنها و يخفف عنها ، و ارتدا ملابسهما أو معظمها و اتجه محمود لحافة الفراش مصطحبها بيده و جلسا معًا و أشعل سيجارتين له و لها و نظر لها نظرة اقتفاء أثر لملامحها و معالمها و سألها : لماذا ....؟

قاطعته سعاد : سؤالكم المعتاد لماذا أنتِ هكذا ؟ أليس كذلك ؟

27 آدن
محمد مهدي صادق

محمود : نعم و لكن لا أقصد إهانة لك فنحن سوياً منذ ثلاث سنوات أو ربما أكثر ولم يكن يعنيني أكثر من معلومات ضئيلة عنك ، و أعتذر منك لو كان سؤالي محرجًا .

سعاد : ليس هناك إحراج لمن تمتهن مهنتي ، و لكن أريد أن أسألك نفس السؤال لماذا أنت هكذا ، أنت نسل أصول و باشوات ، و تستطيع أن تبدأ حياتك من جديد ، لماذا تلجأ لطريق الضياع و العبث ، لماذا لا تسعى للعمل و الاستفادة من علاقاتك و ربما تتمكن من استعادة ابنك إن أردت .

يلتفت محمود باتجاهها بنصف ابتسامة نافثًا دخان سيجارته : أنا لم أعمل مطلقًا و ليس لدي أدنى فكرة عن مفهوم العمل مقابل النقود التي تعني الحياة ، و الحقيقة أن عملي الفعلي كان التفنن في إنفاق النقود و اصطياد النساء و قرع كؤوس الخمر ليل نهار ، أنا لم أدرس أي علوم أو مهنة أو أي شيء أستطيع أن اقتات من ورائه ، أنا محمود بك ابن يحيى باشا (العايق) و قد كان الجميع يلقبونني بذلك بين أوساط علية القوم من الباشوات و رجال المال و السلطة و البلاط الملكي ، حتى بين أوساط فلاحي العزبة كان الفلاحون ينتظرون قدومي حتى يتغنوا بنوع السيارة التي أقودها و الحُلة التي ارتديها و الساعة السويسرية التى رآها أحدهم بيدي و الحذاء الإيطالي الذي لا يحمل ذرة من الأتربة ، نظرة العوام كفيلة بأن تجعلني منتشيًا مزهوًا بذاتي فخورًا بكوني محمود ابن يحيى باشا ، أنا ابن الباشا لا وجه شبه بيني و بين العوام ، والدي كان يملك آلاف الأفدنة و العديد من المصانع و مضارب الغلال و أوراق مالية في البورصة ، قصور تمتلئ بالخدم ، سهرات لا تنقطع ، سفريات للخارج لا تعد و لا تحصى ، ابن يحيى باشا لا يستطيع أن يعمل ولا يمكنه أن يكون مرؤوسًا لأحدهم ، لا أخفيك سرًا لقد فكرت كثيرًا

بالانتحار و لكنني أقل شجاعة من ذلك و لا أملك الجرأة و الجسارة لاقتحام عالم الموت ...

تتحدثين عن ابني فكيف لي أن أؤمن له تربية و حياة كريمة لا أستطيع أن أوفرها لنفسي ، هو بالخارج و مؤكد أفضل حالا من لو كان برفقتي .

سعاد : كم عمره

محمود : بعد أيام يتم عشرة أعوام ، أتذكر حين استولوا على ممتلكاتنا كان أقل من ست سنوات (وقف ينظر للجدران المحيطة و يشعل سيجارة أخرى و يعود ليجلس) مشهد لجان التأميم لا يُمحى قط من خيالي و كأنما حدث بالأمس ، اقتحامهم لعزبتنا بالقناطر الخيرية و وضع الحراسات عليها بالكامل و قد تصادف وجودي هناك حينها ، حتى سيارتي لم تسلم من تأميمهم ، و حين اتصلت بالباشا بالقاهرة وجدت ما يحدث لدي لا يختلف عما يحدث عنده ، إضافة لذلك ألقوا القبض عليه حتى يستردوا أمواله بالبنوك بالداخل و الخارج و قد كان لهم ما أرادوا ، و من حسرته لم يكمل والدي بعد ذلك في الحياة أكثر من شهرين كان رهن الإقامة الجبرية بإحدى الشقق التي كان يمتلكها ، و بعد وفاته آلت هي الأخرى لهم و تمكنت والدتي و أخواتي من الفرار للخارج أو استطاعوا النجاة بحياتهم و لا أعلم عنهم الكثير منذ فترة (ألقى بسيجارته و أشعل غيرها و كذلك هي) ، أية حياة جديدة تتحدثين عنها ، هل بعد ذلك حياة !!!!

سعاد : أنت أفضل حالا مني ، فلقد ذقت الحياة بجمالها و نعيمها بسطوتك و قوتك و نفوذك و أدارت لك الدنيا بعد ذلك وجهها فرأيت الجزء المظلم المخيف و الموجع ، على الأقل حينما يزداد ظلمها و جبروتها ستتذكر نعيمها فقد يمنحك ذلك سكينة و

تحمُل ، أما أنا فلا أملك من الحياة سوى ضحكات مزيفة و حكايات متعددة و ليال كثيرة كرهت فيها أنفاسي ، و تمنيت لو أن الموت أصابني حينها ، ليس أقسى على النفس من أن تكون غير ما أردت ، لم أولد هكذا ، كنت في الصغر أتمنى أن أصبح مُعلمة كما كانت تتمنى أمي رحمة الله عليها ، و كانت تتمنى لشقيقي الأصغر أن يصبح ضابطًا ، لكنه صار سائقًا دائم الترحال و السفر و الشقاوة و رفيق مخلص لأصدقاء السوء و أنا أصبحت كما ترى.

محمود : لماذا ؟

سعاد بضحكة ساخرة : أرأيت ، السؤال المعتاد لماذا أنتِ هكذا .

محمود : تبدين لي منذ سنوات كفتاة ليل محترفة متمرسة على ذلك منذ المهد و حديثك الآن يوحي بغير ذلك.

سعاد -- تشعل سيجارة من أخرى و تقف و تدور حول الفراش لتجلس على حافته خلف ظهر محمود معطية له ظهرها -- : والدي كرم الصعيدي قد هبط للإسكندرية منذ زمن و تزوج من والدتي القاهرية و التي انتقلت هي أيضًا و والدها للإسكندرية قديمًا ، والدي كان دائم الخلاف معها بل و كان فظ دائم السباب و الضرب لها خصوصًا بعدما توفى جدي -- والدها -- ، كان والدي عامل بالميناء و لكنه كان غليظ القلب حتى على أبنائه ، أتساءل و أفكر أحيانًا لماذا تزوجته أمي و هي الجميلة الهادئة الحكيمة ، كان دائم الضرب لي و دائم التدليل لأخي و هذا شيء لا أجد له مبرر حتى الآن و لا أعي سبب له ، و إن كنت اعتقد أن الذكر في الموروث القديم له حقوق و قدسية خاصة لدى صعيد مصر ، والدي كان شحيحًا جدًا عاطفيًا و ماديًا ، منذ أن بلغت الرابعة عشر من عمري و هو يأتي لي بعرسان بصفة دائمة و كانت أمي ترفض ذلك و تعرقله و كانت تنتهي الحكاية

حينها بضرب مبرح لأمي و لكنها كانت تنجح في تقويض مشروع الزواج ، فحلمها كان أن استكمل تعليمي التي لم تتمكن هي من استكماله ، و في إحدى المرات أتى لي بعريس ميسور الحال يختلف كليًا عن سابقيه ، فمن ذي قبل كانوا عمال يومية مثل والدي و كان هدفه فقط أن يتخلص من مصروفات معيشتي المتدنية في الأساس ، أما زيان فقد كان ميسور الحال يملك هو و أهله عقارات و مراكب و تجارة كبيرة ، كان إصرار أبي غير ذي قبل ، كان إصراره يحمل كارثة إن رفضنا.

محمود -- مستديرًا لها و مشدوهًا رابتًا على كتفها -- : و ماذا فعلتم ؟

سعاد -- متجهمة ممعنة النظر في العدم -- : رفضنا .

محمود : و ماذا كان رد فعله ؟

سعاد : كال لها اللكمات و الركلات حتى صارت صرخاتها مدوية بالأنحاء و توجه لضربي كعادته و لكن أمي كان لها رأي أخر مختلف جدًا .

محمود -- مستقبلا وجهها -- : ماذا فعلت ؟

سعاد -- بدموع محبوسة بعينيها -- : توجهت للمطبخ و سكبت على رأسها ما يكفي من موقد الكيروسين و هددته بأن تشعل النار في نفسها ، لكنه لم يعرها انتباهًا و كال لي الركلات و اللكمات ، حتى أصرت على تهديدها بإشعال النار في نفسها ، فما كان منه إلا أن توجه إليها حاملا علبة كبريت و أشعل ثقابًا و ألقاه عليها -- انهمرت دموع سعاد و كانت هي المرة الأولى التي يشعر فيها محمود أن سعاد كسائر البشر أو النساء و من الممكن أن تبكي بصورة طبيعية غير مفتعلة --

، كانت ليلة لم أبلغ فيها السادسة عشر ، ليلة لا أريد أن أتذكرها أكثر من ذلك -- باغتها محمود بحضن احتوائي كأنه الأول بينهما -- ماتت أمي و سُجن أبي و صرت يتيمة أنا و شقيقي و بالطبع تركنا مدارسنا ، مكثنا عند عمتي بضعة أشهر ، لجأ شقيقي للحياة و شوارعها و بدأ يغيب لأيام لا نعلم عنه شيئًا حتى أصبح ذلك هو المألوف ، أما أنا فوقعت فريسة لابن عمتي الذي أغواني حتى نال ما أراد و بعدها تبرأ من فعلته حتى عندما لجأت لعمتي أنكر هو ذلك و أدعى زورًا أنني من أحاول أن أفعل معه ذلك و قد نهرني مرات عديدة ، كان ضرب عمتي و سبابها لي إيذانًا بطردي من بيتها ، كان الشارع هو ملاذي و في سن كهذه و أنا وحيدة كنت فريسة سهلة المراس للجميع الصغير و الكبير ، المتعلم و الجاهل ، المحترم و العربيد.

محمود : و كيف تركك شقيقك هكذا ؟

سعاد :شقيقي لم يعلم عني شيئًا في البداية و عندما علم كان الحال تبدل كثيرًا (حالي أنا) أصبحت سعاد فتاة الليل و لست سعاد مشروع المُعلمة ، حينها تبرأ مني و قد علمت مؤخرًا أنه سيتزوج في بلد ريفي و أنه قد عمل سائقًا .

محمود : معاناة ...معاناة... و أنا من كنت أتوهم أنني مكلوم و مظلوم في حياة كتلك.

سعاد : كلنا ملك للعبة الحياة و لكن لكلٍ دور محتم عليه القيام به ، و لكن عليه أن يكسر قيوده قدر المستطاع ، لذلك أنا دائمًا أرفض أن أقيم معك كلما طلبت ذلك ، أنا بشقتي الصغيرة التي استأجرتها و أقمت فيها منفردة ، و لم يدخلها رجل من قبل و لن يدخلها أحد إلا من أحب .

محمود : تعطينا الحياة العديد من الدروس ، و من يعي درسه سيكون عليه أن يقبل التغيير حتى و إن كان التغيير جذريًا .

سعاد : بمناسبة التغيير ، دائمًا اسأل نفسي لماذا ترك جدي رحمة الله عليه وظيفته كرجل أمن و ارتحل للإسكندرية ليكون عاملا بالميناء الذي تعرف فيه على والدي.

محمود ضاحكًا : قد يكون النصيب لتأتي سعاد .

سعاد : حتى الاسم لا نصيب لنا فيه إلا أمي ، فلا أنا اقترب من السعادة و لا أخي بصالح و لا والدي نلنا منه أي كرم ، أما أمي فقد كانت حقاً (نادرة.....)

****

(ديسمبر 1987)

بليلة من ليالي الشتاء الباردة الباعثة على الهدوء و السكينة ، (يحدث بإحدى الشقق الصغيرة بضاحية شعبية من ضواحي القاهرة) يخرج مشتاطًا غضبًا و قلقًا و حيرةً من غرفة لبهو الشقة الصغير يدور حول نفسه ، يجلس على مقعد من مقاعد المنضدة الدائرية الأربعة واضعًا كلتا يديه على سطح المنضدة مطأطأ قليلا برأسه لأسفل كمن فقد عزيز أو كطفل فقد دميته ، تخرج امرأة بجلباب بيت شتوي ضيق لم يستطع أن يخفي أنوثتها التي لم يُنتقص منها أيضًا كونها مُرضعة لمولود تحمله على صدرها ، تقف بجواره و يبدو أنها تهدئ من روعه ، تترك مولودها على المنضدة ، تربت على كتفه و تحتضنه ليلامس ثدياها ظهره عن كثب ، ثدياها المنتصبان اللذان لم يتأثرا بالرضاعة لمدة عام كامل ، تجلس بجواره متخذة مقعدًا ملجأ لها ، ليدير الرجل وجهه مغمضًا عينيه مداعبًا لحيته ذات الحناء .

قمر : مضى ما يقرب من عامين على زواجنا و مضى عام على إنجابنا لابنتنا و منذ حينها (الولادة) و أنت متجهم عابس غريب الأطوار ، لا أعلم إن كنت سعيدًا معي و راضيًا أم لا ، هل ندمت على ذلك ، هل اشتقت لمصرية ام ماذا ؟

كامل (ملتفتًا لها) : لا اعتراض على قضاء الله و رزقه فكل ما يريده الله فهو خير لنا و لكنني رجوت من الله خيرًا منذ خبر حملك و علمت أن هذا عوض من الله عن صبري لقضائه بعدم حمل مصرية طيلة الأعوام الماضية ، و يبدو أن الخير لا يأتي كاملا ،فلم يأتي الولد الذي آمله و الذي سيكون سندي بالحياة و وريثي الوحيد حين قضاء الله ، و لكن هيهات أن ننال كل ما أردنا ، لله الأمر من قبل و من بعد .

قمر : أطال الله عمرك و جعلك سندًا لنا دائمًا في الحياة ، و يبارك الله في ابنتنا التي ستكون أيضاً وريثتك الوحيدة فأنت وحيد لا وريث لك سوى ابنتك ، و لكن هل ترى ذلك سببًا لتجهمك و عبوسك .

كامل : ولدت و نشأت وحيدًا و أردت أن لا ينقطع ذكري من الحياة خاصةً و قد منحني الله الكثير من فضله و رزقه و نعمته فاشتريت حصةً كبيرة من المصنع .

قمر : و هذا البيت أيضًا و إن كنت لا أعلم من أين لك بهذا .

كامل (مداعبا لحيته التي ترعرعت عن ذي قبل خافضًا صوته) : ذلك فضل الله و نعمته .

قمر : و نعمَّ بالله و لكن ماذا عن اختفائك كثيرًا بلا إجابة واضحة منك ، و تبدل أحوالك عن قبل و تعنتك و معاملتك الغير مبررة معي من تحديد إقامتي و منعي للخروج إلا نادرًا حتى و أنت غائب .

كامل : أخبرتك مرارًا و تكرارًا أن غيابي هو في سبيل الله فما خُلقنا إلا لنعبده و لا أريد منك الاسترسال في ذلك مجددًا فليس لكِ سوى ما أريد معرفتك إياه .

قمر (محتضنة رضيعها) لقد قبلت بزواجنا السري و هجرت بلدتي محبة لك و حتى لا تعلم مصرية بذلك .

كامل : و لقد صدقت وعدي و بدلت زواجنا العرفي بزواج رسمي و اشتريت لكِ هذا المنزل حتى تكوني بمأمن عن غدر الزمن و تقلبات الدهر ، و أما عن مصرية فلها عليّ حقوق في حفظ كرامتها .

قمر (مبتسمة) : و الحفاظ على كرامة أطيانها و ثروتها كي لا تُجرَح إذا حدث ما لا يحمد عقباه ، تلك الكرامة التي أهدرتها لي حينما منعتني عن التواصل مع خالي و الوحيد لي بالحياة و حذرتني أن أخبره بمسكننا الجديد أو حتى أن أزوره ، و هذا أيضًا شيء يدهشني .

كامل : حياتنا ملكٌ لنا ، و عليك ما أمر الله به من طاعة الزوج ، (يرتدي كامل جلبابه الأبيض القصير متوجهًا للخروج من الشقة دون أية مقدمات) تاركًا خلفه قمر تُخرج أحد نهديها معطية إياه لرضيعتها .

****

تستقر عينا أمنية على الجدار المقابل لها و الذي يحمل صورة والدتها ذات الجمال المبهر و الحسن الفتان و التي توفيت منذ عامين بعد صراع مع مرض السرطان أنفقت عليه أموالا كثيرة و عانت فيه الأمرّين من ألم و مشقة و وحدة دون زوج و سند ، تحدثت أمنية كثيرًا مع والدتها عبر إطار الصورة لتخبرها عما آل إليه

حالها بعد هجر زوجها لها و اختطافه سهيلة و رامي أولادهما ليتزوج من غيرها و يسافر برفقتها لدولة من دول الخليج ، تُحدثها عن ألم يعتصرها دائمًا جرّاء الوحدة و غدر و قسوة الأيام و توحش البشر و انعدام الرغبة في البقاء في عالم لا يبدو فيه خير أو أمل أو راحة بال أو هدوء أو سعادة ، تتحسس نهديها و خاصرتها و فخذيها لترسم قوامها بيدها و تمرر أناملها على شفاهها لتتذكر آخر جولاتها الجنسية و التي شعرت فيها بأنوثتها و قد مر عليها الكثير ، تُلقي رأسها للخلف و قد أغمضت عينيها ، مطلقة لكلتا يديها حرية الحركة و لأناملها حرية التصرف كيفما أرادت للتفنن بتحرير اللذة ، تُقلع عن ذلك فجأة بلا داعٍ أو تمهيد ، تبتسم لوالدتها حين تخبرها أنها تتذكر ملامح سهيلة و رامي و تتخيلهما كل ليلة حين تخلد لفراشها بل أنها تطمئن عليهما في فراشهما ، و هي تعي جيدًا عدم تواجدهما ، تؤنب رامي حين يؤذي شقيقته ، و توجه سهيلة بعدم الاستهانة بكلمات رامي فهو شقيقها الذكر ، تحرص على متابعة دروسهما المحصلة باستمرار معهما ، تنتظر بشغف نتيجة مجهودها نهاية كل شهر حيث درجات اختباراتهما و عليها تلبية طلباتهما المغال فيها حين حصولهما على درجات عالية و ربما كاملة ، تواظب على شراء الجبن المفضل لسهيلة و رقائق البطاطس التي يعشقها رامي رغم أنها تحذره منها دائمًا ، تضيء مصباح البهو الخافت حيث تخشى سهيلة الظلام ، تخفف أمنية من ملابسها فهي متعرقة رغم برودة الجو ، فتخلع كنزتها ، تفتح أكياس البقالة تضع كيس بطاطس بجوارها على الأريكة و طبق من الجبن على المنضدة ، ليرافقا العديد من أكياس البطاطس و أطباق الجبن التي بدأ لونها في التغير إثر مرور الأيام .

تمتعض أمنية و تذرف البعض من دموعها حسرةً على فقدانهما ، تتصفح هاتفها بحثًا عن صور لهما فلا تجد ، تلتقط عيناها الجدران و تلتف بمحيطها فلا أثر

لصورهما ، تترنح و تتهاوى ساقاها رغمًا عنها ، تسقط على الأريكة ، تنظر لصورة والدتها ، تلتقط أنفاسًا لشخص مقضي عليه ، تشهق بغتة ، يتلاشى من مخيلتها ما رأته منذ قليل ، لا وجود لسهيلة أو رامي أو زوج سابق ، تتذكر أمنية أنها لم تتزوج من قبل ، أمنية عزباء لم يسبق لها الزواج و هي المقبلة على الخامسة و الثلاثين من عمرها ، تمت خطبتها مرتين و في كلتيهما لم تستمر الخطبة سوى أشهر معدودة ، إحداهما منذ ما يقرب من ستة أعوام لشاب زميل لها و لكن أنهى الخطبة بمجرد علمه بقصة والدها الذي لقي حتفه في حادث مروع بداية التسعينيات من القرن الماضي إثر تبادل لإطلاق النار مع قوات الشرطة و حينها كانت أمنية ما زالت في السابعة من عمرها ، مشهد اقتحام قوات الأمن بعد ذلك لمنزلهم للبحث و التفتيش عن بعض الأدلة التي يريدونها في القضية لم يبرح خيالها بعد ، معايرة الأطفال لها بالمدرسة بوالدها الإرهابي القاتل سببَ لها أذى نفسي ليس بهين ، إنهاء تلك الخطبة أيضًا كان له بالغ الأثر في احتدام مرضها النفسي المتمثل في الخوف من المجتمع و العزلة الاجتماعية ، تتذكر حينها أنها ارتمت بأحضان والدتها تبكي حالها ، تطلب من والدتها بصورة ضمنية أن تواسيها و لكنها لا تعلم أن والدتها هي من تريد من يربت على روحها قبل جسدها ، فقد صارت أرملة و هي في ريعان شبابها و ردت إليها بكارتها عن مضض ، و وهبت من حياتها حياة لابنتها و بجعبتهما ميراث يمنعهما عوز الحياة ، و تتذكر خطبتها الثانية و هو رجل من نفس الحي التي تقطنه يكبرها بعشر سنوات ، كان يريدها زوجة ثانية له ،و كان ذلك بعد ثلاثة أشهر من وفاة والدتها ، كان حزنها و يأسها و خوفها من الوحدة و مجابهة الحياة منفردة كفيلا بأن يجعلها ترتمي بأحضان أي شخص يطرق بابها ، و لكن بعد قليل اكتشفت مطامعه بميراثها فما كان لها إلا أن أنهت هي الخطبة ، و قد اقتنعت أن حياتها منفردة أفضل من حياة كئيبة برفقة كائنات غير سوية و غير آدمية بصورة بشر ، إلا أن أحلام اليقظة

مؤخرًا قد لعبت معها لعبتها و نسجت بخيالها قصة زواجها و أطفالها ، أمنية لا تلعن أحدهم بالهاتف و لا يحدثها أحد حين ثورتها ، تلك النغمة ليست نغمة رنين الهاتف و لكنها نغمة جرس منبه الهاتف ، تجعل من أوقات خروجها من العمل و انتقالها بالحافلة موعد لتلك المكالمات الهاتفية الوهمية لتقنع نفسها أن أحدهم بانتظارها أو أن إحدى المشادات الحياتية أو الزوجية تؤرقها كسائر البشر ، و مكالمة ما بعد دخولها البيت لتنهر أحدهم عن مكالمتها في شيء يخص العمل و هي بالبيت ، هذا الوقت مخصص لبيتها وأطفالها و لزوجها التي هي قرة عينه .

تستلقي أمنية على الأريكة نصف عارية ربما غالبها النوم و ربما رأت بأحلامها ما كانت تنتظره بالواقع أو ربما رأت رامي و سهيلة.

****

يحاول آدن أن يحافظ على توازنه و ثبات وتيرة أنفاسه ، يدرك أنه لا سبيل للفرار من مصيره المحتم و غبائه منقطع النظير ، فيعمل جاهدًا على تنظيم أنفاسه و محاولة عدم المقاومة و ناشدًا الاستسلام حتى الاسترخاء لتنقضي الدقائق المتبقية ، يحاول أن يشغل عقله و باله قليلا بالولوج لماضٍ قريب حين مارس هواية التطبيقات الذكية و كان أولها مع prison app أو (تطبيق السجن) ، حيث أُحتجز لأول مرة و كانت لدقائق معدودة و حين خروجه ارتمى بأحضان والدته باكيًا ثم اكتشف بعد ذلك أن أمه لم تلحظ ما أخبرها عنه من سجن الحواجز الزجاجية ، و أدرك بعد ذلك أن هذا السجن لا يأتي للشخص بل يذهب إليه الشخص داخل التطبيق و حينها يكون الشخص في الواقع نائمًا و إن أيقظه أحدهم يُفترض أن يكون في عداد الموتى ، التطبيق ليس من السهل فهمه أو اختراقه أو العبث به ، ثم مر بصورة خاطفة على تطبيق الموت أو death app لكنه أبى

أن يُكمل ذلك فتذّكُر التجربة كان كفيلا بأن يجعله مرهق أكثر ، عاد بذاكرته ل making love app تطبيق ممارسة الحب و هو أكثر تطبيق قد أمضى ساعات عديدة متجاوبًا معه، فهو تجسيد متطور لتقنية الهولوجرام أو التجسيد الحسي المادي عن بعد ، فما عليه سوى إدخال البعض من بيانات الطرف الآخر الذي يريد أن يدخل معه في علاقة و يحدد طبيعتها و حيثياتها و وضعياتها و وقتها المرجو ، كان آدن توصل لتقنية متطورة للتطبيق بأن يجعل من الطرف الآخر عبارة عن قائمة و ليس شخص واحد ، فقام بوضع كافة من بهاتفه الذكي من إناث على التطبيق (بالطبع سيتعرف التطبيق على الإناث من خلال الاسم) ، فترات مثيرة يقضيها آدن على التطبيق يكون فيها قادرًا على اختراقهن واحدة تلو الأخرى ، ريناد صديقته و هي الفتاة الشقراء من أصل أوروبي ذات الجسد الشمعي ، هرين زميلته بالعمل الخمرية النحيفة ، غراء البيضاء ذات الجسد الملتوي الممتلئ قليلا و النهدين البارعين في اصطياد راحتي يده طويلا ، باسير باسير .... كيف هذا لا لا اختلط الأمر على التطبيق لا لا باسير هو صديقي باسير، هو ولد و ليس فتاة و لكنه اسم متشابه بين الذكور و الإناث ، ما هذا لا..... ... يصرخ آدن بداخله.... ، دنيا والدة ساهد جارهم ... لم يكن يعلم أن الجنس مع الأعمار الكبيرة أكثر متعة من الفتيات يا لها من تجربة رائعة ، ناني لا لا نااااني هذه والدته كيف لم يخرجها من القائمة ...ما هذا ! ، حاول أن يستفيق و يخرج من التطبيق و لكن دون جدوى نهائيًا ، و بعد خروجه شعر بخزي شديد و وعد ذاته ألا يدخله مرة أخرى ، بالطبع عاوده بعد فترة.

استشعر آدن أن الوقت قد يكون أوشك على الانقضاء فيكفيه ذلك من العودة للماضي ، فتح عينيه و نظر للساعة الافتراضية ، ما هذا ! مستحيل ! المتبقي ما زال ثلاثون دقيقة ، كيف ؟ كيف ؟

أدرك آدن أن الساعة الافتراضية بالتطبيق معطلة و هو أصبح بمصير مجهول.

****

(نهاية صالح لم تكن نهاية بالمعنى المألوف و المتعارف عليه بل كانت بداية و تحول في حياة الآخرين)

بعد مقتل صالح بفترة وجيزة أضطر شعبان لترك عمله بالبوليس المصري ، بعد أن طُلب منه ذلك بصورة ودية من أحد كبار الضباط الذي تنامى إلى علمه توجه داخل البوليس المصري بعزل عدد كبير من الضباط و صف الضباط و العاملين من رجال الأمن الذين لهم صلة بالفدائيين و رجال المقاومة ضد الإنجليز و المعادين للإنجليز بصفة عامة و منهم هذا الضابط ، قرر شعبان أن يستقر بعيدًا و خصوصًا بعد أن اتضحت ملامحه في أكثر من عملية فدائية ضد المحتل ، شعبان أصبح شبه مطارد ليس فقط ممن ينوون إقالته و عزله و لكن من الإنجليز ، لم يكن شعبان يخشى على نفسه و لكن ظلت نادرة هي نقطة ضعفه في الحياة و الذراع الذي لن يسمح لأحد بثنيه أبدا ، انتقل شعبان و معه نادرة للإسكندرية ، ربما هي أبعد ما تفتق له ذهنه ، لم يُكلَف عناء البحث عن سكن أو عمل كثيرًا ، كان من السهل عليه أن يلتحق كعامل بالميناء البحري نظرًا لقوته البدنية فقد كان أهل للعمل الشاق ، و لم يكن لصاحب العمل أي اعتراض عليه بل أثنى على حسن خلقه و أمانته و استقامته علاوة على ذلك ساعده في الحصول على شقة بإيجار بسيط بالقرب من الميناء ، تقرب الكثيرون من شعبان فالكل أراد أن يصادقه و لكنه كان مكرسًا وقته فقط لابنته و لعمله من أجلها ، لم يكن في حسبانه أي أمورٍ أخرى ، كانت خشيته عليها هي نفس السلاح الذي دمرها به ، أراد شعبان و عقد العزم على أن يزوجها من أول شخص يجده مناسبًا ، هو لا يعلم متى سيحين أجله

و نادرة ستكون وحيدة في دنيا ليس لها فيها سند و لا تعلم عنها شيئًا، و قد كان كرم الشاب الذي تقدم لخطبتها و وافق عليه شعبان و إن كان غير مقتنعًا به بصورة مطلقة ، و لكن قد وجد النصيب ضالته ، تزوجت نادرة من كرم الذي كان حنونًا في البداية أو هكذا كان يدّعي ثم تحول لإنسان فظ غليظ القلب دائم ضربها ، و استفحل ذلك الأمر بعد وفاة والدها شعبان إثر تعرضه لحادث بشع في عمله حين سقوط إحدى حاويات التفريغ على رأسه ، و كأنما أتى شعبان من القاهرة للإسكندرية ليلقى حتفه و يطمئن على ابنته قبل وفاته ، ابنته التي أنجبت بنتًا و ولدًا ، سعاد لكي تحصل على قسط من السعادة لم تنلها هي و تمنت لها أن تصبح معلمة ذات يوم ، و صالح تيمنًا بمن أحبته من أول نظرة و الذي ضحى بحياته من أجلها ، و لكن منذ متى و المرء يغنم كل ما يريد !!!!! ، احتدمت الخلافات بين كرم و نادرة حتى توفيت نادرة محترقة بأيدي كرم الذي سُجن على إثر ذلك حتى توفي بالسجن ..

*****

مشهد (يوم أخر ليس ببعيد ، ما بعد الفجر و قبيل الإشراق)

يخرج محمود برفقة سعاد إلى الشاطئ الرملي يسيران و يتجاذبان أطراف الحديث ، و لا وجود لرذاذ المطر و بلا أثرٍ لصقيع أو برودة طقس أو نوة مقبلة ، و إن كان محمود قد أعطى لسعاد سترته الداكنة لتحتمي بها و قد صارت فضفاضة عليها إلا إنها كانت ملائمة ، يتأبطها و تتأبطه ، يقص لها ما لم يذكره من قبل من مشاهد و ذكريات ضعفه و استكانته بعدما حدث و قبل لقائهما ، كيف كان يقضي يومه بأرق و ترقب خشية فضح أمره و كشف هويته للبعض أو إلقاء القبض عليه أو حتى مصادرة الشاليه فيصير مشردًا كجرذان انتهى مآلها للعدم ، و كيف كان

يبيت ليله هائمًا وسط دموع الهجر و الغدر و اضمحلال الحال و تبدله بين ليلة و ضحاها ، كيف كان ينقضي يومًا أو أكثر دون أن يشتهي الطعام ، كيف استرد الأموال التي كان يدخرها لدى أحد أصدقائه بعيدًا عن البنوك و قد كان متوجسًا خيفة أن يتنصل منه أو يشي به لديهم ، هو كان صديقه المقرب و كاتم أسراره و لكن ما آل إليه الزمن كفيلاً بأن يجعل المعقول دربًا من الجنون و الطبيعي جزءا من المستحيل ، كيف تنكر بصورة فلاح و بات ليلته أمام بيت صديقه حتى يعود و يسترد ما أودعه إياه ، مراد لم يكن الشخص السيء و بالفعل قد أعطاه مدخراته التي كان يحتفظ بها لديه في صورة نقود و سبائك ذهبية ، لم يكابر أو يتردد محمود أن يقص عليها ذلك أو أن يسرد لها بعضا من ماضيه مع سمية بنت الأكابر و التي كانت كأميرة حرباء منزوعة الألقاب أوهمته بحبها أو كساحرة شريرة وارت مخالبها لتجعله فريسة لها دون أي مجهود حتى صار مسلوب الإرادة أمامها متيمًا بعشقها هائمًا حول محرابها ، فكان زواجهما ، و بعد ذلك بفترة ليست بالطويلة صار محمود بعالم و هي بعالم أخر لا يعنيها فيه سوى سهراتها و حفلاتها رفقة صديقاتها و سفرها لداخل و خارج البلاد ، و إن كان محمود قد كلف نفسه و خاطره يومًا ما بأن ينسج لعقله دربًا للتفكير لأدرك أنه معها شبه ميت أو ميت مع وقف الإعلان عن ذلك ، لم يكن بالطبع عابئ بذلك بصورة كبيرة فقد كان زيرًا للنساء و مغتصبًا لبراءة الليل ملتهمًا لكل لذات الحياة التي لم تبخل عليه بشيء ، فالأيام تعي جيدًا دورها و مواقيت التحول بين الشيء و نقيضه و بين اليمين و اليسار و بين الرغد و العوز ، سمية أيضًا كانت غير عابئة بمآل محمود ، هي دخلت لعبة تعلم قوانينها جيدًا و تعلم ماذا تريد منها و ماذا تريد من ورائها ، استفاد والدها كثيرًا من يحيى باشا و نفوذ يحيى باشا و سلطاته و علاقاته حتى صار ذو حيثية بين رجال المال و الأعمال و بين علية القوم و سادتهم ، سمية كانت زوجة سيئة لكنها كانت أم جيدة تهتم دائمًا بمطالب يحيى الصغير و تهذيبه و تقويمه

و تعليمه اللغات خصوصًا الإيطالية ، كانت كمن أرادت لمليكها الصغير أن يصبح ذو شأن كبير و علو مكانة تليق بمن سيتقلد صولجان الحكم و السلطة و العظمة ذات يوم ، فكانت تلقبه بـــ يحيى باشا الصغير و أحيانًا البرنس يحيى ، لم يدخر محمود بجعبته الكثير أو القليل أو شيء من خزائن أسرار الماضي اللعين أو القميء أو الزاخر بالعظمة أو المكتظ بالغباء المتعمد و اللامبالاة المستضعفة إلا و قصهُ على مسامع سعاد .

صار محمود مقتنعًا بصورة نسبية بأن سلطته و سلطة والده و عائلته و قومه ما كانت سوى هيمنة و اغتصاب لممتلكات شعب ، و ما آل إليه حالهم من ضعف و وهن هو شيء يستحقونه ،و أحيانًا أخرى يرى أنهم الأحق بكل ثروات البلاد و أن ما حدث لا يعدو سوى كونه اغتصاب و تحايل على سلطتهم و جبروتهم ، و أن ما آلت إليه الأمور ليس لصالح الشعب و لكن لصالح باشوات الزمن الجديد ، و لا بد من يوم حتمي سيأتي و يستردون فيه سلطانهم من بين براثن المغتصبين ، و أحيانًا أخرى يرى أن الاستسلام شيء أكثر صحة من المهاترة الغير مجدية فلن يعود سلطان و لا هيمنة من جديد ،فعليه الرضوخ و التوافق مع الواقع و مع مستجداته ، وقد تكون سعاد هي الواقع و مستجداته.

تصغي سعاد جيدًا لحديث و حكايات محمود ، و رغم فارق المأساة ورغم فوارق شتى بينها و بين ابن الباشا إلا أنها صارت تحلم بأن يكون محمود لها و أن يصير هو ذلك العاشق الذي تمتلكه و يمتلكها ، يغفر لها و يمهد لها طريقًا جديدًا لم تره أو تأمله من قبل ، و لكن بدأت تنشده بوجوده ، هو ذلك الشخص الذي راودته دومًا بخيالها أن يكون الوحيد المتفرد بدخول مسكنها و كذا الوحيد الذي تهبه عقلها رفقة جسدها .

عانقته سعاد و أدلفته لماضيها و ذكرياتها منذ الصغر و قهر والدها لها و قمعه لوالدتها نادرة ، و كيف كان لابن عمتها عظيم الأثر في كونها بائعة هوى و كيف بدأت رحلتها مع الضياع و مع اللاعودة و مع رحلة جسد مقابل الطعام أو قل ذل مقابل الحياة ، لم تكمل تعليمها ، لم تصبح مُعلمة ، انفصلت عن شقيقها الوحيد المتبقي لها في الحياة ، ارتمت بين أحضان رجال حمقى و مقززين ، كانت تبادر مرغمة للقيء لتفرغ ما في جوفها من أنفاس و ربما لتتنصل مما بداخلها من منّي فاسد لرجال أوغاد ظنوا أن الانتشاء الجنسي مقابل حفنة نقود يُعد متعة حقيقية ، كانت تتقيء بغير إرادة بعد نهاية كل رحلة من رحلات الحب المزعمة و الجنس القبيح الذي يشوبه التخلي عن الآدمية و العقلانية و كأنما هناك شيء بداخلها يقودها للخلاص و عدم التمسك بأذناب الرايات الحمراء ، تباغته بأقصوصتها كيف كانت لفترة ما تغوص ببراثن بلطجي قواد يستبيح عرق جسدها و فرجها مقابل حمايتها ممن تثول لهم أنفسهم أذيتها أو التلاعب بأتعابها ، حتى أُتهم هذا القواد بجريمة قتل زُج على أثرها بالسجن لتصبح مرغمة على إدارة أعمالها بنفسها ، حاولت أن تنسج له قصصًا خيالية أو أن تُجمل من ماضيها ولكنها عادت لتتلو الحقيقة كمن أرادت أن تتطهر من ذنوبها أو كمن أرادت أن تستهل صفحة جديدة نقية لتقطع ما سلف من صفحات قذرة ، سردت له عن محاولاتها المتعددة الخروج من بوتقة العهر لعالم نظيف يخلو من انتقاص الذات لكنها لم تصمد كثيرًا و عادت غير مأسوفٍ عليها لدائرة الهوى ، أقرت سعاد لمحمود بحالها منذ لقائهما الأول ، فقد كانت تشعر بأن هناك شيء ما قد يجعله مميزًا عن غيره ، هناك قدرٌ ما سيربطهما سويًا ، و ربما هذا ما جعلها بعد تعدد جولاتهما الجنسية أن تقلص من صولاتها الحمراء ، و أن تجعل ذلك فقط من أجل أن تفي بالتزاماتها من مأكل و مشرب و مسكن .

شعرت سعاد بلسعة برودة أعقبها احتضان محمود لها و تقبيلها بشكل هستيري كرجل يرى لأول مرة شفاهًا كانت ظمأة و عيونًا كانت مطموسة و جسدًا يتداوى من مخالب ظلت تنهشه طويلا .

استطرد محمود يهمس لعقله عما يريد و بما يفكر و ما لا ينبغي حقًا أن يكون ، هل سيحب و يتزوج محمود بك ابن يحيى باشا من سعاد بائعة الهوى ، و التي لن تجد ذئبًا بشريًا أو رجلا كان مهذبًا قبل أن يلتهمها في نطاق الوجه البحري لا يعرف تفاصيل جسدها أو متطلبات و حيثيات فرجها ، كيف له أن يقبل على نفسه بأن يكون ذلك الشخص بترتيب من بين صفوف رجال سعاد و يحمل رقما قد تخطى الصفرين بعدد علاقاتها الجنسية الليلية و ربما النهارية أيضا ، و لكن إن كانت سعاد تنوي حقا الإيقاع به فلماذا استطردت في سرد الحقيقة المؤلمة و المذلة لها و لم تكتف فقط بالتلويح بمدى قهر و ظلم الحياة لها و إرغامها على ما لا تريد ، سعاد لم تكن مقهورة طوال الرحلة ولكنها كانت في علاقة تبادلية إرادية بجزء ما ، كانت في علاقة مع الحياة اخترتها بمحض إرادتها بعدما كانت في وقت مضى هي الطرف الذي تم إذعانه ، هل حقا تنوي سعاد بدء صفحة جديدة معه ؟

هل ستنسى أو تتناسى كل ما سلف ؟ و هل سيجذبها الحنين بعد ذلك و هي بعصمته ؟

هل سيباغتها أحدهم و هي بجواره و يتذكرها و تتذكر هي ملذاتها معه أو صيحاتها التي كانت غالبا مفتعلة ؟ هل ؟؟؟؟ هل ؟؟؟؟

ظل محمود يحدث ذاته و ينتظر ما يهديه للصواب :

هل كانت سمية على علاقة بالمدرس الإيطالي حقا و هي بعصمتي ؟ و هل كانا يتبادلان أطروحة الغرام بعيدا عن عينّي و أنا ألتهم فرائس الليل و أتلذذ بأجساد و نهود و مؤخرات النساء الشقراوات و السمراوات المصريات و الأجنبيات ؟؟

هل كانت سمية كإحداهن بالنسبة للإيطالي ؟؟

هل كان يلقنها كلمات إيطالية مرادفة للحب و الجنس و العاطفة و القلوب و الانتشاء و الوعد و العشق و ما شابه حين يطارحها الغرام ؟

هل كان تلقينه لها قبل الانتشاء أم بعده ؟

هل كانت تستدرجه هي أم كان هو الفاعل ؟

هل كانت تقص عليه هجري لها أم هجرها لي أم بغضنا لبعضنا البعض ؟

أين كانت العلاقة بينهما ؟ بفراشي أم بفراشه أم بإحدى الشقق التي منحها لي يحيى باشا لأتلذذ بالحياة فتلذذ غيري بالحياة التي أملكها .

هل سردت و أخبرت صديقاتها المقربات عن مغامراتها بفراشي أم جعلت من نظراتهن تخمينًا ؟

هل أدرك أو رأى الخدم و الحاشية أي شيء ؟ أو هل ساورهم الشك ؟ و كيف كانوا يتهامسون و يتسامرون في ذلك ؟ و هل كانت أمسيات مضحكة أم مثيرة أم مشمئزة و مستنكرة و مشفقة على ابن الباشا المخدوع ؟؟

هل تلقفت عينا يحيى ذلك ، و لكنه لم يدرك مدى الفاجعة ؟

.....أسئلة طُرحت بعقله و لم يجد لها إجابة ....

هل تكون سعاد أكثر حرصًا على سمعتي و محافظة على شرفي ؟

تذكر محمود حكمة كان قد قالها له محمد أفندي أمين المسئول عن إدارة أعمال يحيى باشا فيما يتعلق بالفلاحين العاملين بالعزبة و محاسبتهم و تحصيل الإيرادات و غيرها من الأعمال الهامة (الفقير لا يخون و لا يطمع فإن آمنته على شيء رده لك محافظًا عليه و إن كان في سبيل ذلك حياته ، هو فقط يريد المعاملة كإنسان) .

استشرف محمود ما اطمأن إليه وجدانه و نظر لسعاد نظرة لا تخلو من الاعتذار عما سبق من نظرته و معاملته لأقرانها من الفقراء المهمشين ، فقد رآهم فيها ، كما اعتذر لها عن سابق عقد مقارنة بينها و بين سمية ، فالفقير لا يخون و لا يغدر ولا يطمع ، هو فقط يريد المعاملة كإنسان و هو أقسم بداخله على ذلك ، فكم من غني كان الغدر و الخيانة منهجًا له دون حاجة ، و نكران الجميل كان دربًا من دروب الواقع بالنسبة له .

بدّلا محمود و سعاد وجهتهما في السير لوجهة أخرى متاخمة لإشراقة النهار التي زادتهما توهجًا رغم برودة الطقس .

(منزل سعاد بصبيحة أحد أيام شهر ديسمبر)

وقد تزوجا فيه و هو المنزل الذي لم يدخله رجل سوى محمود ، و لا يعرف مكانه أحد زبائنها السابقين و تركا الشاليه لمن يريد استئجاره ليجلب لهما مصدرًا للدخل علاوة على دخل محمود المتميز و الذي يدر عليهما الكثير ، فقد عمل كمترجم لبعض الشركات و الهيئات الأجنبية و المصرية مستغلا إتقانه لأكثر من لغة ، فلقد علم محمود أخيرا كيف أن الإنسان لا ينبغي عليه الاستسلام أو الرضوخ .

أيقظته سعاد و يبدو عليها آثار الحمل و هي معدة فطورهما قبل أن يستعد ليلحق بمواعيد عمله و لكنها كانت متجهمة تواري حزنها خلف ابتسامة خافتة و بالطبع أدرك محمود أنها ما زالت متأثرة جرّاء مقابلة صالح لهما ، و كانا قد ذهبا لشقيقها بعدما استمرا في البحث عنه مرارًا و تكرارًا و سؤالا لمن قد يعرفه حتى استدلا على بلدته التي يقطن بها بالمحلة الكبرى ، و لكنه كان فظًا معهما متوعدًا لهما بسيل من اللعنات و السباب بألا يقتربا مرة أخرى منه أو من زوجته أو طفله الصغير كامل ، فلقد اعتبر شقيقته في عداد الموتى و هو ما أعلنه للجميع سابقًا.

*****

(منزل مصرية و كامل بقريتهما ذات ليلة من ديسمبر 1987)

يجلس كامل على الفراش مضرجًا في عرقه مشعلا سيجارته بعدما أنهى واجبه الزوجي التقليدي و الذي أنهاه سريعًا جدًا كالمعتاد ، واكب ذلك توتر قد اعتلاه و كأن هناك من ينتظره بالخارج ، نهضت مصرية نصف عارية لاهثة لتجهيز قدحًا من الشاي النمطي لكامل و الذي أكمل سيجارته معه ثم نظر لها نظرة استحسان و مباركة و امتنان و أخبرها أنه لم يحب إنسانة في الحياة قدر حبه لها ، و أنه يحمد الله أنها ستكون زوجة الآخرة له أيضًا و سيدة الحور ، و لكم تمنى منذ الصغر أن يهبه الله زوجة مثلها و قد كان .

تنهدت مصرية لأنها قلما سمعتْ منه كلمات إطراء و عرفان و غزل ، لم تألف منه سوى التجهم و الصمت و الغياب المتكرر لأيام خصوصًا في الآونة الأخيرة ، و التي كان يخبرها دائمًا أنه في رحلة عشق مع الله و أحيانًا أنه يخرج هائمًا في سبيل الله و في سبيل الدعوة له ، غياب كامل المتكرر كان أحد أسبابه الذهاب لزوجته الأخرى في القاهرة (قمر) و التي حركت الساكن بداخله و تحديدًا بعد

إنجابها طفلتهما ، بالطبع كان يأمل كامل في ذكر و لكن كانت مولودة أنثى فهي مشيئة الله ، لم يدخر كامل جهداً في محاولة الإنجاب من مصرية و لكن باءت كل المحاولات بالفشل الذريع ، و كانت كل محاولاتهما لدى الأطباء تنتهي بطلب تحاليل و فحوصات لهما ثم يكون الرد النهائي متفق عليه من الجميع ليس هناك عيب أو مانع للإنجاب من كليهما و هما الآن بانتظار إرادة الله فقط ، فليس هناك ما يمنع الإنجاب ، إلا أن هناك طبيب واحد أخبرهما بشيء غريب و هو أن ليس هناك مانعا للإنجاب و لكن كل منهما غير متوافق مع الآخر ، فيمكن له أن ينجب من غيرها و يمكن لها أن تنجب من غيره ولكنهما لن ينجبا سوياً لعدم توافقهما ، و هو ما أثار استياء كامل و دهشته و جعله يفكر بجدية بعد ذلك في الزواج ، و لكن تردد بسبب خشيته من طلب مصرية الطلاق و خسارة و ضياع الكثير مما تملك ، فهي كانت الوريثة الوحيدة لوالدها و الذي وافته المنّية وترك لها أراضي و عقارات و ثروة حيوانية ليست بالقليلة .

نظرت إليه مصرية نظرة متأملة ثم قالت : هناك ما أريد إخبارك به يا شيخ كامل و لكن لا أعلم إن كان سيسعدك أم سيزعجك و يؤرق مضجعك ، أعلمُ عزة نفسك و تعففك طيلة زواجنا و أشهد الله أنك كنت نعم الزوج و لم تقصر يومًا بحقي و لم تكن ... لم تكن ...

كامل : ماذا بكِ ؟ لا أعلم عما تتحدثين ، فإن كان هناك ما سيزعجني فلا اعتقد أنني بانتظار سماعه .... ماذا تريدين ؟؟

مصرية : ذهبت منذ يومين لمكتب الشهر العقاري و قد سجلت معظم ممتلكاتي لك بيع و شراء .

كامل : ماذا تقولين ؟؟؟

مصرية : تعلم أنني أخشى دائمًا من أعمامي و مطامعهم و تربصهم لاقتناص ما أملك و واقع الأمر أننى أخشى عليك من شرورهم إذا أصابني مكروه أو حتى لم يصبني ، فعندما تكون الأراضي و غيرها مسجلة باسمك فليس هناك حينها ما يدعو للقلق .

كامل (تمتزج السعادة بالمفاجأة بداخله محاولا تصنع الاستنكار) : و من قال لكِ و أخبرك أنني من الممكن أن أوافق على مثل هذا الفعل ؟ منذ متى و أنا أنتظر منكِ شيئاً أو يدنو لخاطري من الأساس أنك تمتلكين ثروة كبُرت أو صغرت (جدير بالذكر أن مصرية هي من ساعدته على شراء حصة كبيرة من المصنع الذي يعمل به ، و قد كتبت الحصة باسمه هو و ليس باسمها)

مصرية : هذا أقل ما تستحق و وجودك معي و بحياتي هو أكثر مما استحق ، فلا تخذلني في ذلك (أخرجت مصرية وثائق الملكية الجديدة و أعطتها ل كامل) .

كامل (معانقًا إياها) : أملاكك هي لكِ حتى و إن صارت مسجلة باسمي حسب رغبتك ، اطلبيها و استرديها و باشريها وقتما أردتي فهي لكِ ، و أنا مجرد مؤتمن عليها ، ثم قبّل رأسها و جبهتها و عاوده إحساس مضني بالقلق و الحيرة و الترقب كأنما هناك حدث ما ينتظره غير مبشر بالخير ....

(الليلة التالية بمنزل كامل و قمر بالقاهرة)

تُعد قمر وجبة العشاء ، بينما يتأمل كامل ملامح طفلتهما بنظرة مختلفة ، هو كأنه يراها لأول مرة ، يلتقطها ليهدهدها على غير العادة ، تبدأ الطفلة في البكاء و

الصراخ و كأنها لا تعرفه و هي حقاً لا تعرفه ، تخرج قمر من المطبخ لتضع العشاء على المنضدة و تلتقط رضيعتها فتهدأ على الفور ، ثم يشرعا بتناول وجبتهما حتى يفرغا من ذلك ، فتأخذ قمر بإرضاع الصغيرة حتى تنام فتضعها بفراشها و تتجه لكامل ...

قمر (تنظر إليه بريبة) : ماذا دهاك ؟؟ أراك و قد زادك التوتر و القلق إرهاقًا ..

كامل (بتردد ، ينظر لساعته) : تعلمين أنني ليس لي بالحياة سواكِ أنتِ و ابنتنا ..

قمر : و مصرية و لكن هذا ليس بموضوعنا ، ماذا يدور بعقلك ؟؟

كامل : تعلمين أنني أخرج في سبيل الله .

قمر : نعم هكذا أخبرتني و لا أعلم كيف ذلك و أنت لا تريد التحدث في ذلك .

كامل : أعمل بالدعوة لله و لرسوله و لديننا الحق و أجاهد في سبيل الله و في سبيل إعلاء راية الإسلام خفاقة ضد الكفر و الضلال و ضد طواغيت النظام المُعادي لدين الله و لكل من آمن به ، لقد خُلقنا لنعبده فكان لزامًا علينا أن نحارب من يمنعنا عن عبادته و أن يكون الدين لله وحده .

قمر (مندهشة برعب) : أتعمل مع الجماعات الإرهابية !!!!!

كامل : الجهادية ، اسمها الجماعات الجهادية ، التي تجاهد في سبيل الله ، عليكِ أن تُعلمي ابنتنا و تربيها تربية إسلامية إن حدث و نلت الشهادة ، و لتجعليها مزهوة فخورة بأبيها و إن لم يكن لي حظاً في الشهادة سأكون قد ساهمت في تكوين

المجتمع الإسلامي القويم الذي آمن فيه على ابنتي و عليكِ من الفساد و الفسق و المعاصي التي تحيق بنا من كل جانب .

قمر : أشعر و كأنما أتحدث مع رجل لا أعرفه ، لماذا لم تخبرني من قبل .

كامل : بل تعرفينني حق المعرفة و لكنني لم أخبرك بذلك رفقًا و خشية عليكِ.

قمر : تخشى علي ممن ؟؟

كامل : ممن يحاربون الله و رسوله ، من أعداء الدين الذين يريدون إعاقة مشروعنا لإقامة الدولة الإسلامية التي أرادها لنا نبينا الكريم .

قمر (متجهمة) : لم أنل حظًا من التعليم و لكنني أشعر بأن هناك خطبٌ ما غير سليم ، هناك أمر خاطئ بالموضوع و بفهمك لما تفعله .

كامل (بضحكة ساخرة مقتضبة) : في الواقع أريدك أن تحتفظي بتلك الأوراق بعيدًا عن العبث ، بعيدًا عن الضياع ، احتفظي بها بين طيات روحك ، هذه وثائق ملكية المصنع و هذا البيت ، و تلك أوراق تخص ملكيتي لأراضي و عقارات و ثروة حيوانية و غيرها ببلدتنا ، تلك الممتلكات كفيلة بأن تؤمن لكما حياة رغدة بستر من الله و لن تحتاجا لأي شخص من بعدي .

قمر : هل تلك الأملاك تخص مصرية ؟؟؟

كامل : تخص زوجك ، تخصني أنا ، لقد اشتريتها من مصرية بيع و شراء .

قمر (باستغراب) : كيف ؟؟؟

كامل : هذا ليس وقت كيف ، سيحين الوقت الذي سأشرح لكِ فيه الكثير و الكثير .

قمر : لماذا ؟ لماذا تفعل ذلك ؟ لماذا تسعى لتدميرنا و هلاكنا ؟

كامل : لقد أخبرتك أنه في سبيل الله.....

يرتدي كامل لأول مرة منذ فترة سروالا و قميصًا و ليس جلبابًا و يستعد للخروج و لكنه قبل أن يخرج عاد أدراجه خطوتين و همس في أذن قمر .

كامل : أعلم أنه ليس بالوقت المناسب ، و أمرٌ كهذا لا يقال على عجل أو على استحياء ، و لكنني أردت الإجابة على تلك السؤال ... لماذا ...

لكي لا تصبح ابنتي مثل عمتي ....

قمر : عمتك !!! لقد أخبرتني أن والدك وحيد مثلك تمامًا .

كامل : والدي لم يكن وحيدًا بل كانت له أخت ، و لكنها ....

قمر : و لكنها ماذا ؟

كامل (مستعيدًا توازنه و رباطة جأشه) : كانت عاهرة ، بائعة هوى ...

قمر (متعجبة) : ماذا ؟؟؟

كامل : نعم كانت كذلك و تبرأ منها والدي ، و هذا السر لم يخبرني به إلا قبيل وفاته بقليل ، حتى أنني لا أعلم أين هي و إن كانت ما زالت على قيد الحياة أم لا ، و هذا السر لا أريد أن يعلمه أحد غيرك ، لا أريد لبشر أن يعلم شيئًا عن سعاد عمتي ، أريدك أن تعديني بذلك .

قمر : أعدك يا كامل .

يخرج كامل غير مودع لـــ قمر التي ما زالت غير مدركة ماذا قال و ماذا حدث خلال الدقائق الماضية ، هل هكذا يتبدل الحال من لحظة لأخرى !!! هل تختلف رؤيتك لشريك حياتك و تراه بصورة و هيئة جديدة و كأنه تبدل في غفلة من الزمن !!!!!

(بعد ثلاثة أيام و ما زال ديسمبر 1987)

طرقات مستمرة عنيفة على باب شقة قمر ، طرقات كفيلة بأن تكسر الباب و لكنها لم تفعل بعد ، تفتح قمر الباب و قد انتابها الرعب و القلق و التوجس من شيء ما يجول بصدرها لتفاجأ بحشود من قوات الأمن تقتحم الشقة بحثًا عن شيء ما ، تلتقط قمر ابنتها تحتضنها خوفًا عليها ، تسألهم ماذا يريدون ، لم يجب أحد ، إلا عند خروجهم أجاب عليها أحدهم بأنهم يبحثون عن أسلحة و متفجرات تخص زوجها الإرهابي كامل صالح و الذي لقي حتفه منذ قليل عند محاولته و أعوانه تفجير حافلة سياحية و محاولة اغتيال من بها من سياح ، و لكن قوات الأمن تعاملت معهم و تمكنت من أردائهم قتلى .

تخرج قوات الأمن من المنزل بينما ما زالت قمر تقف مشدوهة مسمرة بمكانها ، لا تدرك كيف يكون هذا و كيف تحولت حياتها في لحظة واحدة .

تحتضن ابنتها (أمنية) لتبدأ معها رحلة جديدة في الحياة ، رحلة ستقودها بمفردها .

****

تستيقظ أمنية صباح اليوم التالي مستسلمة لواقع لم ترَ غيره في حلمها ، لم ترَ رامي أو سهيلة أو والدهما ، لم يباغتها غير كابوس يراودها كل فترة و هو رؤيتها لوالدها يرتدي جلبابًا أبيض ممزق يعلوه الأتربة كما يعتري وجهه الخوف و القلق ، مضرجًا في دمائه الغزيرة ، يحدق بها غير عابئ بصراخها و كأنه لا يعلم من هي ، يتشبث بساق قمر و هو مستلقيًا على الأرض لا يقوى على النهوض و لا يستطيع الحديث و لا يتمكن من تضميد جراحه و لا يطلب من أحد ذلك ، تصرخ أمنية و تستمر في الصراخ حتى تجد نفسها على هيئتها الحالية و مرحلتها العمرية و هو ما زال مضرجاً في دمائه و لكن لا وجود لقمر .

تلقي أمنية نظرة على صورة والدتها ، تتهيأ لأن تخرج لعملها بعد أن بدّلت قليلا من ملابسها التي كان ترتديها بالأمس ، تهذب شعرها ، تضع القليل من مستحضرات التجميل ، تتناول من الطعام ما تستطيع يدها أن تتحصل عليه ، تهبط مسرعة كي تلحق بعملها ، تسير بخطواتها السريعة المعتادة تنتظر موعد حافلتها اليومي ، تتأخر الحافلة قليلا و هي في الانتظار حتى تصل لتستقلها ، ليس هناك أي مقعد شاغر ، تضطر للوقوف قليلا حتى يُجلسها أحدهم بدلا منه بمقعده استعطافًا كي لا تتعرض للمضايقات المعتادة بحافلات القاهرة ، تجلس و تتخذ مقعده شاكرةً له حسن الصنيع ، ما زالت أمنية تعي في هذه اللحظات حياتها العادية الطبيعية ، تدرك أنها أمنية كامل صالح ذات الرابعة و الثلاثين ربيعًا و المقبلة على ما يليه ، تعلم أنها عزباء لم يكن في حياتها رجل من قبل و بطبيعة الحال لا وجود لسهيلة و رامي ، تسمع رنين الهاتف (كلهم بيقولوا كدة في الأول) لتلتفت يمينًا و يسارًا و هي تعلم أنها نغمة جرس المنبه للهاتف و ليست نغمة رنين ، يتغير لون بشرتها للون الأحمر الداكن و تزوغ عيناها كثيرًا باتجاهات متعددة ، فتمسك بالهاتف لتلغي التنبيه و تضع الهاتف على وجهها بوضعية الرد لتصب لعناتها و غضبها و

سبابها على من هناك بالطرف الآخر ، دون جمل و عبارات واضحة و دون أن يفهم المحيطون ماذا يدور بجوارهم ، كل ما يدركونه أن هناك أمرٌ ما يؤرق تلك السيدة ، و واقع الأمر أنه ليس هناك أي شيء يملأ حياتها تنغيصًا أو فرحًا أو غير ذلك ، حياتها خاوية من أي شيء .

تستمر حياة أمنية لسنوات طويلة بصورة نمطية لا جديد يطرأ عليها و لا تغيير يصبها و لا طارئ يلحق بها ، لا علاقات اجتماعية بنطاق العمل أو خارجه ، بنطاق السكن أو ما حوله ، علاقاتها محدودة بزملاء العمل ، هم أيضًا يتحاشوا و يتجنبوا إقامة علاقة مباشرة معها أو إدارة حوار جانبي أو الحديث معها عن الأمور المتعارف عليها في دوائر الأعمال الحكومية من غيبة و نميمة على من تزوجت و من انفصلت و من أنجبت و من هو صاحب النصيب هذا الشهر في قبض الجمعية التي أُسست بين الموظفين ، أمنية لم تكن فقط مجتهدة في عملها و لكنها كانت منظمة جدًا تنال دائمًا رضا رؤسائها و استحسانهم ، إلا أن تقييمها من النواحي التعاونية مع الزملاء و تقلص انخراطها الاجتماعي جعلها غير قادرة على الحصول على ترقيات وظيفية تستحقها ، لم تكن أمنية في الواقع مكترثة بذلك كثيرًا رغم إيعاز الزملاء بتقديم شكاوى للحصول على حقوقها الوظيفية و لكنها كانت تأبى ذلك .

(ديسمبر 2022)

تصل أمنية لقناعة قوية و اقتناع تام للجلوس مع أحد الأطباء النفسيين و الذي كانت قد رشحته لها مدام سناء مديرة القسم التي تعمل به ، و تعتبر مدام سناء الوحيدة التي قد تلقى تجاوبًا في الحديث مع أمنية ، و هي التي ألحت عليها كثيرًا في ذلك الأمر طوال السنوات الماضية ، و كان غرضها الأساسي العمل على إخراج أمنية

من حالة التقوقع التي تعيشها و العزلة الاجتماعية التي انزلقت إليها و تفاقمت خلال السنوات الماضية كثيرًا ، و ازدادت بنوبات الهلع و التهيؤات التي تحدث لها و قد لاحظ ذلك الجميع إلا أن مدام سناء كانت الأكثر إيجابية في التعامل مع أمنية التي تعتبرها بمثابة ابنتها ، و هي بالفعل بعمر ابنتها سارة التي سافرت برفقة زوجها للكويت و لديها آسر و آسيل ...

(ليلة من ديسمبر 2022 بعيادة الدكتور أدهم شعلان الطبيب النفسي)

تجلس أمنية في الاستقبال بانتظار دخولها عيادة الكشف للدكتور أدهم ، عدد قليل من المرضى نظرًا لارتفاع سعر الكشف فهو طبيب ذائع الصيت كما أن خبرته كبيرة في مجال الطب النفسي ، علاوة على كونه أستاذًا بالجامعة و ضيفًا مستمرًا بمعظم القنوات التليفزيونية ...

تطلب السكرتيرة من أمنية الدخول ، عيادة هادئة ، أضواء خافتة ، أثاث يفي بالغرض و ليس به أسس البهرجة نهائيًا ، يقف الدكتور أدهم لاستقبالها مبتسمًا و مُرحبًا بها طالبًا منها الجلوس ...

دكتور أدهم في العقد الخامس من عمره ، أبيض البشرة بشعر و لحية يقترب منهما الشيب بريبة و توجس ، ملامح هادئة من يراه لأول مرة يعتقد أنه قريبًا له ، ينظر لها منتظرًا منها أن تكون المبادرة في التحدث ، تزيغ عيناها ذهابًا و إيابًا و لا تنظر لعينيه مباشرةً ، يبدل دكتور أدهم مقعده ليجلس بمواجهتها ، فهو يريدها أن تنظر إليه مباشرةً ، يطلب بياناتها كاملة ليسجلها ، يتعرف على كل ما يخصها من حالة اجتماعية و عمل و سكن و تكوين أسري من وجود أشقاء أم لا ، والديها على قيد الحياة أم لا ، و غير ذلك من الأسئلة التي تزيل حدة الرهبة بين المريض و الطبيب علاوة على تحدثه معها بأمور عامة نابعة من طبيعة عملها و هكذا حتى لاح له في

الأفق أن يبدأ معها جلسته ، طلب منها أن تجلس على مقعد أخر أكثر راحة (شيزلونج) و جلس بجوارها ، استطاع دكتور أدهم أن يستقي منها ما أراد عن طفولتها و نشأتها و (والدها) ، عرف دكتور أدهم كل ما حدث لها من صدمات و أزمات و أدرك السبب الذي جعلها فريسة سهلة لمرض الفصام بصورة موازية لمرض الرُهاب الاجتماعي ، لم يكن الأمر هينًا عليه أو عليها ،استمرت الجلسات على مدار ستة شهور تقريبًا حتى صارت أمنية طبيعية جدًا متوافقة مع الواقع و المجتمع ، و تعلم أن لا بد لها من ممارسة الحياة كنظيراتها من النساء ، نعم هي في السابعة و الثلاثين من عمرها و لكنها أدركت أن العمر مجرد رقم يُكتب ، أما العمر الحقيقي هو ما يعيشه الإنسان من لحظات سعادة و فرح و انطلاق و حب ، لذلك قررت أن تتحرر من قيود قد نسجتها حول نفسها ، و أن تحطم أغلالا طالما قوضت جيدها من أن يحلق بالسحاب .

انطلقت أمنية للحياة تعانقها و تتشبث بكل لحظاتها ، تعدها بأن لا تدع لحظة من اللحظات إلا و ستكون عامرة بالسعادة و تعويض ما فاتها من سنين طويلة من الزمن ، سافرتْ و اكتشفت أماكن جديدة سياحية و شاطئية و أثرية داخل مصر و خارجها ، استطاعت أمنية أن تدير ثروتها الطائلة خير إدارة ، باعت ما لم تستفد منه و حولت استثمار أموالها في أشياء أخرى أكثر فائدة كالعقارات و ما شابه ، كانت أمنية قد أقامت علاقات اجتماعية مع جيرانها بصدر رحب بعد أن كان ذلك يقتصر على تحصيلها لمبالغ الإيجارات الشهرية فقط ، كما أنها قامت بتجديد منزلها بأثاث جديد و طلاء مبهج ، و بعد فترة من الوقت تمكنت من شراء منزلا رائعًا بإحدى المدن الجديدة في مصر ، منزلٌ ليس بالضخم و لكنه كفيل بأن يجعلها تشعر بالراحة و الاسترخاء و الهدوء ، منزلٌ يتكون من دورين بحديقة صغيرة ، كل جزء في هذا المنزل يجعلك تشعر بالجمال و التناسق و الهدوء ....

تقدم لخطبتها الكثير من الرجال منهم الأعزب و منهم المطلق أو الأرمل ، و لكنها كانت تقابل ذلك بالرفض التام ليس فقط لمجرد الرفض و لكنها لم تجد في أي منهم الشخص المناسب ، و هي بطبيعة الحال قد أدركت أن الرجل ليس هو فقط من سيشعرها بالحياة أو سيجعلها تكمل أدميتها ، و إن كانت قد عاهدت نفسها إن تقدم لخطبتها شخصاً مناسبًا تجد فيه شريكًا للحياة فأنها ستوافق بلا تردد .

مرت سنوات و استطاعت أمنية أن تحقق فيها ما فاتها و تلحق بما تغافل عنها طوال أعوام كثيرة مرت دون أن تستشرف فيها طعمًا للحياة.

(ديسمبر 2045 منزل أمنية الهادئ)

تبدو في المنزل امرأة فائقة الجمال فاتنة القوام الممشوق بشعر من جدائل ذهبية و بشرة بيضاء ناعمة ، تجلس على أريكة دائرية تتجه معها حيث تنظر ، تتحرك معها حيث تريد ، تنظر المرأة للوحة إلكترونية تبدو و كأنها البديل الذكي للصور الفوتوغرافية التي انتهت من الوجود منذ ما يقرب من عشر سنوات ، تنظر لصورة أمها قمر و تدعو لها بالرحمة .

نعم هي أمنية التي أوشكت أن تتم الستين من عمرها ، و لكن المرأة التي تظهر ببهو المنزل هي سيدة أو فتاة تبدو بالثلاثينيات من عمرها على أقصى تقدير ، و قد كانت صيحة التجميل الإلكترونية فيما بعد 2035 كفيلة بأن تجعل من جميع النساء حوريات و من جميع الرجال آلهة للجمال و القوة و الذكورة ، أصبحت الحياة أكثر رغدًا للبعض و أكثر وحشة للبعض الأخر و هذا ليس بحديثنا ، و لكن ما يعنينا أمنية أو أفروديت آلهة الجمال كما تبدو.

تلتقط أمنية هاتفها الخلوي ، تجري اتصالا بإدارة أحد المستشفيات لتتابع معهم آخر مستجدات الوضع حيال إجراء عملية التكاثر الذاتية التي نوت القيام بها ، و تلك العملية كان العلم قد توصل لها قبل عدة أعوام و تتمثل في إمكانية حمل الأنثى و إنجابها دون وجود ذكر و دون الحصول على حيوانات منوية من أي ذكر ، تقوم العملية على التكاثر الذاتي للأنثى بغض النظر عن عمرها ، و كانت قد بدأت أمنية فحوصات و إجراءات ذلك بالفعل ، هي ترغب بطفل يؤنس وحدتها ...

(بعد ذلك بعدة أشهر)

تدخل أمنية غرفة عمليات صغيرة ، يوجد فيها المعدات الصغيرة الكفيلة بإجراء العملية ، ليس هناك غيرها بداخل الغرفة ، الأطباء الذين سيجرون العملية بغرفة تحكم أخرى لتتم العملية عن بعد كعادة معظم العمليات في هذه الآونة ، تداعبها إحدى المتخصصات و هي توضح لها ماذا عليها أن تفعل قبل العملية لتشاهد ما سيحدث على شاشات افتراضية فراغية ، و هي بطبيعة الحال لن تغط في سبات أو تخدير أو ما شابه فهذه الأشياء قد اندثرت مع التقدم العلمي و التكنولوجي ، تداعبها المتخصصة لتخرج من الغرفة و هي تسألها ماذا ستسمي المولود ؟

لترد أمنية بابتسامة عريضة : آدن

*****

أدرك آدن أنه وقع فريسة لواقع مظلم لا مفر منه ، واقع قد يؤدي لهلاكه و ربما هلاك أمه التي لا يعنيها في الدنيا سواه ، هي لا تعيش سوى لأجله ، كيف لها من مصير إن أصابه مكروه ، هل سيكون نهايتها ؟ هل سيداهمها الجنون ؟ هل ستتجه لإنجاب غيره ، لم يكن الوقت أو الظروف مواتية لذلك التفكير و لكنه

مرغمًا تذكر ما قصته والدته عليه من تجربتها في عملية double parents أو ما تعرف بـــ التكاثر الذاتي و جدير بالذكر أن أمنية كانت من ضمن أول مائة امرأة بمصر و العالم السامي world semi تلد بتلك العملية (من لم يعلم بعد بمصطلح world semi هو عالم مكون من شعوب مختلطة بين نسل عربي و نسل يهودي و غير ذلك من بعض الأعراق الآسيوية حيث فرض اليهود سيطرتهم منذ أعوام بعيدة على مقدرات الأمور بنسبة كبيرة من المغرب غربًا و حتى بغداد شرقاً مرورًا بمصر و الخليج و غيرها من الشعوب التي اختلطت فيها الأنساب بين العرب و اليهود و بعض الآسيويين حتى صار من الصعب معرفة العربي من اليهودي و ربما كان لليهود بالغ الأثر التحضري الإيجابي في إطفاء الصبغة العلمية التقدمية على المنطقة برمتها ، مما انعكس إيجاباً على العقلية العربية ، جدير بالذكر أن هيمنة التأثير اليهودي كان بالعلم و العقل و المعرفة ، و من ثَمَّ باتت المنطقة تنعم بالرقي و التقدم المستمر ، و بالمناسبة اختفى مصطلح يهودي و مسيحي و مسلم و غير ذلك من الأديان بعد ذلك ، و ذكر مسمى ديني إن لم يكن تندرًا بالماضي من باب استدعاء الذكريات فهو يدل على التمييز و العنصرية و تعتبر جريمة لا تغتفر في كل العالم السامي world semi ، فالعالم أصبح يخاطب الإنسان فقط و توحدت جهود الإنسان لمحاربة و مجابهة العناصر الميتافيزيقية و المندسة من الكواكب الأخرى) .

أما عن العملية التكاثر الذاتي أو double parents فهي بمثابة أن تكون الأم شخصين في شخص واحد (الأم و الأب معًا) بأن يُصنع المنّي من هرمونات ذاتية للمرأة و تتحول بصورة تلقائية للمبيض ليتم التخصيب بآليات و تقنيات عالية الدقة و التقدم ، بالطبع في العام 2070 هذا أمر عادي جدًا و يعتبر من كلاسيكيات الطب ، بل أن هناك ما هو أخطر فهناك التكاثر الذاتي double parents و لكن

بالنسبة للأب فالذكر يستطيع أن يحمل دون أنثى ، يكفيه زراعة رحم مؤقت افتراضي داخل تجويف داخلي بالبطن قيد فترة الحمل التي اختلفت عن ذي قبل فصارت ثلاثة أشهر و ليست تسعة كما كانت من قبل في العصور الحجرية ، و هناك أيضًا إنجاب الجانب المتماثل أو the same side كأن تحمل الأنثى من الأنثى و أن يحمل الذكر من الذكر و صارت هذه من العمليات التي توازي إجراء عمليات الولادة النمطية للمرأة الناتجة عن العلاقة بين الرجل و المرأة و التي أيضًا يتم النظر إليها كونها من كلاسيكيات الجنس النمطي .

بطبيعة الحال كل هذه الأطروحات و الرجوع بالذاكرة للماضي من قبل آدن هدفها ربما الخلاص من المأزق بأن ينتهي العد التنازلي بإصلاح الساعة الافتراضية تلقائيًا أو تمكنه من العثور على مخرج من هذه الأزمة التي لم تخطر على باله و التي لم ترد قط في حسبانه و لم يسمع بأنها قد حاقت بأحدهم ، هذا هو الـ prison app أو تطبيق السجن ، بدأ آدن يفكر في الخروج الغير تقليدي من هذا التطبيق و لما لا ، من اخترع تطبيق السجن هو إنسان مثله ، و آدن هو من دَرَس ANT Technology Nano Advanced كما درس Sane Advanced AST Technology وهي العلوم التكنولوجية المتخصصة و المتقدمة ، كان آدن ممن يساهم لفترة ما في إنشاء تطبيق مماثل يحاكي هذا التطبيق و يكون أكثر تحكمًا و تقدمًا و لكنه لم يستكمل ذلك ، بيد أنه في خضم ذلك درس لفترة كبيرة الثغرات التي لا بد من إحكامها من قبل إدارة التطبيقات حتى لا يتمكن الـ hackers (قراصنة الإلكترونيات) من اختراقها و السيطرة عليها و ربما استخدامها لصالحهم أو إعادة بيعها لأصحابها الأصليين مرة أخرى ، كانت أيضًا من الأشياء الهامة دراسة تفعيلات التطبيقات و برمجتها المتقدمة و التحديثات الخاصة بها ، كانت أهم نقطة يرتكز عليها التطبيق هي السيطرة على المستخدم عصبيًا من خلال شل و خلخلة

الخلايا العصبية لديه بصورة لا إرادية عن طريق الاستحواذ على نطاق الذبذبات الكهربائية العصبية المنبعثة من المخ و العمل على وقف حركتها بمرحلة معينة بحيث لا تصل الإشارات العصبية المترجمة من المخ لأعضاء جسد المستخدم ، حينئذ سيكون المستخدم مُخدر و تحت السيطرة التامة لإدارة التطبيق لتوجهه كيفما أرادت وفقًا لتقنية تم إعدادها بصورة متقدمة جداً و يعاد برمجتها تلقائيًا حتى لا يتم اختراقها أو على الأقل إعاقتها أو إعاقة سيطرتها حتى و إن كان من قبل مستخدم يريد العبث بقوانينهم (بالمناسبة كافة أنواع التطبيقات مرخصة و شرعية و تم التوافق عليها من قبل العالم السامي semi world فليس هناك ممنوع أو محرم أو مجرم ما دامت كافة الأطراف قد وافقت عليها ، و ليس هناك طرف من حقه الاعتراض على ذلك طالما وافق على بنوده من قبل ، العالم السامي semi world هو عالم من الإباحة للحياة ، عالم من المسموح به و الحرية المفرطة ما دامت لا تمثل أذى لشخص خارج دائرة الموافقة و التطبيق) .

تفتق ذهن آدن و هو يستعيد توازن أنفاسه و رباطة جأشه و سكينته كي يستطيع التفكير في حيلة قد تكون المنقذة له ، إن الهيمنة على الخلايا العصبية هي أساس السيطرة على المستخدم ، و هو حاليًا رهن لتلك الهيمنة و هو خلف الحاجز الزجاجي كما يبدو ، و لكنه في الواقع تحت تأثير نوم عميق كما فسر ذلك البعض و يتخيل أنه بهذا السجن الوهمي أو ربما بعالم أخر وراء حاجز زجاجي فعلي كما فسر البعض ذلك ، و برهن عليه بوجود أثار حسية مادية على كل من يخرج من هذا السجن فالوضع ليس مجرد نوم أو سبات كبير و أثر وهمي كما ظن المستخدمون ذلك ، و لكن ربما يكون هناك عالمان مختلفان يسيطر عليهما التطبيق للمستخدم و يفصل بينهما بتقنية عالية ، عالم ما وراء الفراغ و الحيز الكوني (عالم فراغي) يتواجد به المستخدم بروحه و طاقته الحقيقية و الحسية و

العقلية و عالم أخر يتواجد فيه المستخدم بجسده و طاقته الخاملة الكامنة ، (قد اكتُشفت بعض قوانين الطاقة عام 2050 لم تكن بالحسبان و التي أثرت على مفاهيم شتى فقد يستطيع أحدهم الاختفاء عن الأنظار وفقًا لمعطيات قوانين السرعة و الكتلة و الطاقة المتجددة ، و ما تم اكتشافه يعد أعظم اكتشافات العالم السامي semi world ، بالمناسبة العالم السامي semi world أصبح عبارة عن دول العالم المتقدمة أما الأوربيون و الأمريكان فأصبحوا دول عالم متأخر و ينشدون ود و رضا العالم السامي semi world دائمًا) **أو ....**

أو ربما من مصلحة إدارة التطبيق إقناع المستخدمين بنتائج و عكسها بأسباب و نقيضها بأشياء مقنعة و دحضها ، ربما لغرض ما لا يعلمه أحد فالعالم أصبح غير واضح أو سهل الفهم أبدًا ، جدير بالذكر أن هذا التطبيق و بعض التطبيقات الهامة الأخرى تخضع مباشرة لسلطة الإدارة العليا للعالم السامي semi world و (مجلسها الرئاسي الأعظم) ، أيقن آدن أن هدفه هو كسر نمطية وقف الإشارات العصبية التي يقوم بها التطبيق ، أدرك أنه يجب عليه التحليق بعيدًا عن كل ما يخص التطبيق و يذهب بتفكيره لأن يهرب من براثنهم عن طريق العودة لعالمه الحقيقي و الخروج من تحت سيطرتهم الكبيرة على خلاياه العصبية و بالتالي حواسه المادية ، فأصبح لزامًا عليه محاولة الاستيقاظ إن أيد الفرضية الأولى مجتازًا مخاطر موت الصدمة الذي قد يواجهه كما واجهه غيره أو أن يعمل على استعادة روحه و طاقته الحقيقية و إعادتها لجسده لتتفاعل و تتناغم مع طاقته الخاملة ليعود آدن للحياة ، فهل له إن أيد الفرضية الأولى أن يوقظ نفسه و هل كان يستطيع أن يوقظ نفسه أثناء نومه في الماضي إن أراد ؟ بالطبع لا ، إلا في حالات محدودة و نادرة جداً و هي مخاطبته للاوعي لديه مثلا بأن يستيقظ في السادسة صباحًا ليستهل عمله و الذي بالطبع يباشره من خلال لوحاته الذكية الافتراضية

التي تسيطر على كل الحياة الآن ، هذا من خلال تعامله مع الوعي و اللاوعي الذاتي لأن بالطبع هناك خواص النوم و الاستيقاظ الآلي المبرمج كما رأينا من قبل ، يستجمع آدن تركيزه ليخاطب هذا الوعي و اللاوعي ، هو في الواقع يأمل و يرجو أن ينتبها له و أن يعيراه انتباهًا ، هو بالكاد يقنع لا وعيه بأن عليه الاستيقاظ الآن للحاق بموعد عمل على لوحة إلكترونية حتى لا يتم إلحاق الأذى به ، يحاول التحايل على الوعي الخفي أن والدته بحاجة له أو أنها في خطر محدق بها و عليه إنقاذها فهو ابنها الوحيد بل كل عالمها ، كل ذلك دون جدوى ، وخز نفسه بأظافره و بأطراف أسنانه و شعر بألم طبيعي جراء ذلك ، أوشك أن يلعن الفرضية الأولى و قد ألقاها جانبًا .

الآن هو رهن للفرضية الثانية و لا شك أنها هي الغالبة على الأمر ، أدرك أنه قد انقسم لجزئين ، جزء عبارة عن روح و طاقة حقيقية و حسية و عقلية ، و جزء عبارة عن جسد بطاقة خاملة ، و لكن كيف له حينما وخز نفسه أن شعر بألم ، فإن كانت روحه و حدسه و طاقته الحقيقية بعيدة عن جسده ما كان له من الشعور بذلك .

شعر آدن بما يشبه صوت انفجار برأسه أعقب ذلك أصوات رعدية تنهال من عقله لأذنيه لجسده ، يختل مستوى الرؤية لديه و يخفت ليرى بالكاد كف يده ثم ينجلي و كأنما أنيرت مئات اللمبات الكهربائية بداخل حدقتي عينيه ليرى كل ما هو خفي ، يعلو الصوت تدريجيًا بشدة و تصبح مستوى الرؤية كأنه يرى الأجسام الخفية و التى تُرى بالأجهزة الميكروسكوبية ، يترنح جسده و ينتفخ بشدة كأن هناك شخص أخر بداخله و لكن أكبر حجمًا أو كأنه يتحول لشخصية أسطورية ، تكاد عروقه أن تنفجر و عيناه أن تُقتلع و رأسه أن تنفجر لولا أن سقط مغشياً عليه .

(عام 2150)

إحدى مناطق semi world (العالم السامي) و كانت تسمى منذ أكثر من مائة عام منطقة الخليج .

حيث توحدت جميع الدول جغرافيًا و تاريخيًا و مناخيًا و مصير اقتصادي و بيئي و إنساني واحد و تم تغيير مسمياتها جميعًا للعالم السامي semi world ، بالمناسبة تلك المنطقة تم تغيير مناخها منذ فترة بعيدة عبر استعمال general abilities أو القدرات الكلية بموافقة أصحاب ال part abilities القدرات الجزئية أو ما تسمى ب جادليون ، من خلال عرض تم التقدم به بواسطة the area coordinator أو (منسقو المنطقة) تحت مراقبة (مجلس إدارة العالم السامي الأعظم) حتى لاقى العرض قبولا من إحدى المناطق الأخرى فتم تعديل المناخ بين المنطقتين و معادلته مقابل التنازل عن بضعة ملايين من القدرات الكلية ، أما القدرات الجزئية هو ما يملكه الأفراد من ability أو قدرة و إمكانية تسمى جادليون تشمل الثروة الشرائية و القوة البدنية و الذكاء و الطاقة التخصيبية و غيرها من القدرات التي تحولت لقدرات كامنة داخل الفرد ، يستطيع تبديل نسبها و معدلاتها داخله من حين لآخر وقتما شاء كيفما شاء حسب تفضيلاته ، فمن الممكن أن يقلل الفرد من نسبة ثروته الشرائية مقابل أن يزيد من نسبة قدرته التخصيبية أو أن يرفع مؤشر ذكائه مقابل أن يخفض قوته البدنية ، يتم استعمال الفرد لذلك من خلال حاسوبه أو هاتفه الفراغي الذي يظهر أي منهما وقتما أراد الفرد أمامه أو على سطح كف يده أو حتى على سطح الماء .

وهناك ما يسمى المصير المشترك و هو ما يجعل من القدرات الجزئية (جادليون) ذخيرة جيدة للقدرات الكلية التي تتكون منها لتستخدم بموافقة تصويتية لشراء أو

تعديل مصير مشترك كمناخ أو بيئة بالتغيير إيجابيًا أو سلبياً أو شراء أو بيع منصات دفاعية ضد هجمات الكواكب الأخرى أو تحسين خدمات المرور الجوية (الانتقال للأفراد صار عبر box cars flying أو السيارات الصندوقية الطائرة ، و هي عبارة عن سيارة صغيرة فردية كالتي كانت موجودة في القرون السابقة في ما يعرف بالملاهي) أو غيرها من الأمور التي تستلزم موافقة الأفراد للخصم أو الإضافة الكلية فيما يخص الوحدات الكلية و من ثم الخصم الجزئي أو الإضافة الكلية فيما يخص القدرات الجزئية (الجادليون) .

أما عن كيفية زيادة أو نقصان ال ability أو القدرة للفرد أو الجادليون من الأساس بصورة فردية ذاتية أو نشأتها أو اندثارها فتكون عبر ما يصنعه الفرد ليفيد به العالم السامي من اختراعات تكنولوجية أو طبية أو خدمية أو تسليحية للمساهمة في الدفاع عن العالم السامي أو للعمل على رفع إمكانية تنظيم غزوات محتملة للكواكب الأخرى بما سيكون خير وسيلة للدفاع و هو ما لم يحدث حتى الآن أو غير ذلك مما سيعود بالفائدة على منظومة العالم السامي ، أما ما يسبب انتقاص القدرة للفرد فهو استعماله الخاطئ للتكنولوجيا أو الاستخدام المفرط للتطبيقات المتقدمة المدفوعة أو ارتكاب بعض المخالفات المرورية أو الشراء السلعي و الخدمي أو التجاوزات الأخلاقية ، نعم ففي العالم السامي أخطر شيء هي المخالفات الأخلاقية و التي تم تعريفها بأنها التعدي أو التطفل أو السطو الفكري على الغير أو إيذائه بأي صورة من الأشكال أو الكذب أو محاولة معرفة قدرة الغير و ما يمتلكه من جادليون ، تلك المخالفات الأخلاقية أخطر من جرائم السرقة و القتل و الاغتصاب و الخطف التي قلت أو ندرت ربما لأنه يتم منعها من قبل ال semi security أمن العالم السامي قبل حدوثها من خلال تقنيات حديثة جديدة ، و

هناك أيضاً إمكانية تنازل البعض عن الجادليون الخاص به لأسباب تتعلق به و ذلك بإرادته الحرة لشخص أخر .

(شأن ثري)

هذا هو عنوان إحدى الصحف الفراغية العليا

شأن ثري هو مرادف لنبأ أو خبر عاجل في السابق ، و لكن هذا المسمى كي يحفز الأفراد للقراءة فهو سيفيدهم في إمكانية الاستحواذ على بعض معدلات القدرة ، كلمة ثري تعني أنك ستستفيد ربما بزيادة الجادليون الخاص بك إن أحسنت التفاعل و تنفيذ ما بالشأن أو ما بالخبر ، أما الصحف الفراغية فهي صحف حلت بدلا من الصحف الإلكترونية القديمة و التي كانت عبر شاشات الحواسيب ، هي صحف و صفحات تفتحها و تقرأها فراغيًا في الحيز الفراغي أمامك أو على سطح كف يدك أو على أي شيء ، و بالمناسبة القراءة عمومًا تزيد كثيراً من القدرة ، أما كونها (صحف فراغية عليا) فهي صادرة من مجلس العالم السامي الأعظم و تظهر أمام الفرد بصورة لا إرادية و لا بد له من قراءتها و إن لم يفعل فهو خصم هائل من القدرة ...

(شأن ثري)

اختطاف ماهيجاي ابنة عضو مجلس العالم السامي الأعظم و عضو هيئة الدفاع و الغزوات التسليحية الكونية فاضل الهلباوي ، و لا يعلم أحد حتى الآن حيثيات ما حدث فقد اختفت إحداثيات طاقتها كما اختفت لوحة قدراتها من على لوحة القدرات الكلية و شبكة تحكم و مراقبة مجلس العالم السامي الأعظم ، و من سيتقدم بأية معلومة عنها ستتم مكافأته فورًا بعشرة مليون جادليون و تعيينه بـ مجلس العالم السامي الأعظم .

(انتهى الشأن الثري)

69 آدن
محمد مهدي صادق

الفصل الثاني

(الممر)

يتساءل البعض كثيرًا عن ماهية الوجود و بدء الخليقة و متى بدأت و كيف كانت الحياة حينها أو قبلها أو بعدها .

ما هي إشارة البدء ؟

و كيف عرف الكون وجود البشر ، هل كانت الجبال و الأنهار و الوديان و السهول موجودة من قبل؟

هل وجدت الطيور و الحيوانات و الزواحف و الحشرات و غيرها من غير بني الإنسان قبل أم بعد أم مع بداية الجنس البشري ؟ هل كان هناك وجود للسماء و السحب و الشمس و القمر و البراكين و الأمطار و السيول و الرعد و البرق قبل أن تطأ قدم أول بشري الأرض أم لا ؟

هل عُرف الموت مع الحياة ، و هل عرف الإنسان أبجديات الوجود ضمنياً أم بمعاهدات صريحة و واضحة ؟

أسئلة تبدو وجودية لا طائل من ورائها و لا عائد أو مردود حسي سيعود على السائل بنفع مادي مباشر ، و غالبًا لن يلجأ أحدهم للتفكير فيها كثيرًا إلا إذا كان مضطرًا لذلك من أجل النجاة أو لديه الوقت و المجهود الكافي لطرح الأسئلة و إجابتها ، و ربما التحايل على نفسه بمتسع من الوقت و التفكير لتعديل الإجابات و إدراجها ضمن المسموح أو الممنوع أو الصحيح أو الضعيف ، المتوافق عليه أو الجدلي ، القوي البينة أو الضعيف الغير محكم ، كافة الأسئلة الوجودية قد يسألها أحدهم ليجيبه أخر بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بزمنه أو بزمن أخر ، بمكانه أو بمكان أخر ، و قد يجيب نفسه و قد يضطر لأن يطرح السؤال دون أي استعداد لتلقي جواب ، فيجب عليك دائمًا تحري الدقة و الأمانة حين يتلقى عقلك جوابًا

حياتيًا وجوديًا ينطوي على فرضيات منطقية ، فليس هناك ما يتوجب و يستلزم من مغالطة ما يُستدل به مع ما هو متعارف عليه ، و إلا بات العقل و صارت الروح في معزل عن الأمان و الطمأنينة و السلام النفسي .

صمت و هدوء مطبق و كأن الكون لم يخلق بعد ، و كأن الحياة برمتها صارت بطريق الخلاص من الآثام و الشرور و الضجيج و الصخب و البشر الفاسدين و قد يكون هو الخلاص من الخير و الأمان و الهدوء الصحي و البشر جميعاً ، قد يكون هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة أو قد يكون الهدوء الذي يلي العاصفة بملايين السنين ، العاصفة التي أتت على الأخضر و اليابس ، الصالح و الطالح ، السمع و البصر و فعلت فعلتها التي تلتهم الوجود عن بكرة أبيه بكل ما أوتيت من قوة و جبروت .

يفتح عينيه عن غير هداية و من غير إرادة و بصورة مستضعفة ، تستدرج خلاياه العصبية جفونه مستعطفة إياها لتُرفع لأعلى ، دون تلبية الاستعطاف في البداية و لكنها تطاوعه بعد ذلك ، ربما بغير يسر ، شعوره هو شعور الإنسان الخاضع لأثر تخدير قوي لدرجة تكفي لألف إنسان ممن سيخضعون لعمليات جراحية كبرى ، ظلام دامس لا يتغير بارتخاء جفونه أو بصلبها ، بجذبها أو بشدها ، بتشويش حدقتي عينيه أو باتساعهما ، ظلام يتوغل داخل أوردته و وجدانه و روحه قبل أن يلتهم عينيه و يصير كمن فقد نعمة البصر نهائيًا ، هو لا يرى شيئًا ، هو لا يتذكر شيئًا ، هو!من هو ؟

هو لا يعلم من هو ، لا يعلم إن كان قيد النوم و الحلم أم بواقع يزداد سواداً عن السواد و الظلام المحيط ، من هو ؟ لا يعلم ، ما أبغض هذا الشعور الذي تتلاشى

فيه أنت شخصياً من خارطة الحياة أو على الأقل تتلاشى الحياة من خارطتك الصغيرة .

يتحسس جسده ، ملامح وجهه ، محيط رقدته ، أعضاؤه طبيعية يدركها جيدًا كأنما قد رآها أو شعر بها من قبل ، جسده يترنح داخليًا على ما يبدو من أثر مخدر موضعي أو كلي كان قد حُقن به من قبل ، و لكنه بدأ يتلاشى رويدًا رويدًا فبدأ يحس الحياة و الوجود و تتلمسه عن مضض أنامل الحياة أو هكذا شعر ، اتكاءة بسيطة على رسغ يده بغية النهوض ، شعر بألم عضلي عصبي ، تأوه ، بدأ يتكأ على كلتا يديه و ساقيه لمحاولة النهوض ، استشعر ما تحت يده من برودة تصل لدرجة أشبه نوعاً ما بالثلوجة و بملمس ناعم انسيابي كأنه رخام من النوعية الباهظة الثمن ، راوده عقله محدثاً إياه بأنه يعي ما هو الرخام و ما معنى باهظ الثمن ، حاول أن يستنجد و يلحق بعقله المنتعش مؤقتًا ، طالبا منه إشعار يفيد بماهيته و كينونته هو شخصياً ، و لكن دون جدوى ، تمايل بذراعه يمينًا و هو بطريقه للنهوض فاصطدم بجدار لا يقل نعومة أو برودة عن الأرضية من تحته ، بسط ذراعه الأيسر في الجهة المقابلة ليجد جدارًا مماثلا بنفس البرودة و الدرجة الملساء ، أدرك أنه محاصرًا بين جدارين ، استطاع النهوض بصعوبة بالغة من أثر ألم يداهم ركبتيه و كتفيه و ظهره بل يباغت جميع مفاصل و عضلات جسده و عموده الفقري و غضاريفه ، ألم ناتج عن تيبس يشي بأعضاء لم تُستخدم لفترة طويلة جدًا لا يعلم مداها ، يقف بقامة منحنية يستعطفها و يستجديها أن تنتصب و تطاوعه ، يسير على خطى مترنحة متثاقلة غير متزنة و غير معتدلة و غير مستقيمة ، أدرك بعد قليل عندما لاحظ ثبات الجدارين يمينًا و يسارًا و ثبات المسافة الفاصلة بينهما أنه يسير عبر ممر طويل بأبعاد ثابتة لا تقل أو تكثر ، يبدو أنه مرغم على السير ليصل لشيء لا يعلمه و لهدف لا يوقن بوجوده من الأساس ،

يسعى لذلك ليصل للنجاة من واقع لا يعلمه أيضًا ، حاول إطالة ذراعيه في الامتداد العلوي فوق رأسه ، لا يوجد شئ ، لا يعلم إن كان هناك سقف يحده من الأعلى ، ربما على مستوى أعلى من بسط ذراعيه ، فهو لا يستطيع القفز ليدرك ذلك أم أنه ليس هناك ذلك السقف الذي بُني في خياله من الأساس ، و أن الوضع ممتد لما لا نهاية ، سار ذلك الشخص العائد للحياة بعد استفاقته من نوبة التخدير التي يبدو أنها قد ألمّت به منذ فترة ، يحدوه وجعًا من أثر التيبس العضلي الكامن بجسده و قد توعد نفسه بالثبات رغم الهزة النفسية و بالنجاة رغم احتمالية شبه مؤكدة للضياع ، يتأوه تارة و يتمالك نفسه و يتحمل تارة أخرى ممنيًا النفس بالمثابرة ، يتشكك كون سقف الممر منبعاً لمراقبة أحدهم له و ربما التحكم في تحركاته و تفكيره و مصيره ، أو ربما كانت له اليد الفعالة في سباته و تخديره و من ثَمَّ إفاقته و توجهه لمصير ما مجهول ، يواصل السير مستندًا بين الحين و الأخر على أحد الجدارين ، تتشابك ساقاه بين خطوة و أخرى معلنة استعداده للسقوط إلا أنه يتمالك توازنه أحياناً و يتهاوى أحيانًا أخرى ، ليحرص بعدها على النهوض للمضي قدمًا في سبيل المعرفة و التمكن من إدراك المجهول حتى يصير معلوماً ، يتعاقب الوقت بغير هوية و بلا معالم واضحة له و ما زال الممر هو رمانة ميزان الحدث ، يقوى جسده تدريجيًا متخلصًا من أثر ما كان يحيق به منذ قليل أو منذ كثير ، هو غير مدرك لماهية الوقت ، ينتفض جسده تدريجيًا حتى بات منتصبًا ليبدو كحال يكاد يكون أقرب للطبيعي ، يواظب على السير الذي صار طبيعيًا و صحيًا ، تتسارع و تتسابق خطواته مع دقات قلبه بوتيرة تنافسية ، الخطوات السريعة تتحول بين الحين و الأخر لعدو و جري يعود لسير طبيعي حين تصل دقات قلبه لأعلى درجة و تُرهق ساقيه فيتأنى و يُهدئ من وتيرته مرغمًا .

ممرٌ لا أخر له و لا سبيل لنهايته و أصبح لا طائل من التفكير بذلك فلا تغيير يطرأ عليه أو على برودة و نعومة الجدران أو الأرضية و لا سقف يلوح له على امتداد بسط ذراعيه حتى مع قفزاته التي صارت ممكنة الآن ، و لكن.....

يبدو أن الواقع سيتغير عن قريب و الحال من المحتمل أن يتبدل ، حك عينيه بصورة سريعة ليتأكد أنه غير عابث و لم يصل بعد لمرحلة الغثيان ، يبدو له في الأفق بصيص من وميض خافت جدًا ...

فهل سينم ذلك عن شيء جديد ؟ أم كان هذا مجرد سراب أو وهم أو مخاطبة لا إرادية من عقله الباطن ببؤرة اللاوعي له لكي يحسه على المثابرة و الجلد حتى يحين المكتوب شرًا كان أم خيرًا ، يحك جفنيه بصورة أكثر حدة ، نعم هناك وميضًا خافتًا على بعد لا يستطيع تحديد مسافته كما لا يستطيع أن يحدد مصدر الضوء و قوته و غالباً لن يتمكن من ذلك حتى يصله ، يزيد من سرعته بلا تعب أو نصبٍ يذكر ، تبدأ الجدران الجانبية بإصدار ومضات خافتة جداً تزداد رويدًا رويدًا كلما اقترب من مصدر الضوء الأمامي ، يواكب ذلك صوت حفيف يزداد كلما اقترب من ذاك الضوء ، لا يستطيع (هو) أن يحدد متى سيصل إلى مصدر الضوء بل لا يستطيع أن يحدد ماهية الضوء و لكن الآن بدأ بصيص الأمل يتسرب لداخله ، بدا أن الوضع يتغير بشدة ، لاحظ (هو) شيئاً غريباً و هو اتساع المسافة الفاصلة بين الجدارين ، مكنه من ذلك الوميض الصادر من الجدارين ، تزداد المسافة و تزداد و تزداد حتى صارت منفرجة شاسعة الاتساع و لا يتمكن (هو) من حساب تلك المسافة أو تفسيرها حتى ، اتساع الجداران جعله و كأنما خرج فعليًا من الممر لساحة كبيرة شاسعة لا أول لها من أخر ، و مع خروجه أو انتباهه لخروجه تختفي الومضات و كذلك الأصوات الحفيفة الخافتة ، و يصبح الضوء

المنبعث عن بعد هو الأوحد ذو الصلة المتغيرة بهذه الأحداث ، الضوء أو مصدره حقا لا يقترب و لكنه يزيد من إشعاعه فقط ، نظر خلفه لم يجد أو ربما لم يتعرف على موضع خروجه فقد كانت سرعة عدوه كفيلة بأن تجعله يذهب بعيدًا في زمن بسيط هذا إن كان بمقدورنا أن نستخدم لفظ زمن أو وقت في واقعة لا تعترف بالزمان أو المكان ، واقعة يغلب عليها اللازمان و اللامكان ، يصبح (هو) وسط دائرة كبيرة قطرها ربما يكون مئات أو ألاف من الأفدنة ، و ما زالت الأرض تحت قدمه محتفظة بقوامها البارد الأملس الرخامي ، لم يدخر (هو) قدراً من الفرحة و السعادة إلا و نالها ، أطلق صرخة مدوية أو كذلك أردها و المدهش أنه لم يفعل ذلك منذ استفاقته ، واقع الأمر لا يعلم لماذا لم يصرخ أو يصيح مهللا عله يجد من ينقذه ، و لكن من ينقذ من في هذا الممر العبثي ، على أي حال هو بواقع يتغير للأفضل ، بعدما أطلق الصرخة حدث شيء غريب ، لم يسمعها ، لم يسمع صرخته ، ربما غافله الأمر أو اختلط عليه ، كررها مجددًا ، ما هذا ؟ هذا هراء ، لم يسمع شيئًا ، كيف ؟؟؟؟

هل صار لا يسمع ؟

كيف و قد سمع الأصوات الحفيفة داخل الممر ؟

إذاً فقد صار لا يتكلم ، أيضًا كيف ؟؟؟؟

و هو ..... هو لا يعلم من كان ، من الممكن أنه كان لا يتكلم من الأساس ، واقع مؤلم و مرير و لكنه على الأقل يستطيع أن يرى ، يرى الجدران المحيطة على مساحات شاسعة ، يرى مصدر الضوء البعيد ، يستطيع أن يرى كف يده ، بسط يده لكنه .....

لكنه لم يرَ كف يده ، نظر لجسده لأسفل و لكنه لم يرَ شيئاً ، ما هذا العبث ؟

هل أصبح (هو) روحاً بلا جسد ؟

هل مات و هل هو الآن في رحلته الدائمة نحو الخلود كما يزعمون ؟

هل اختفى بفعل فاعل ؟ أم هذا شيء طبيعي و هناك مثله الكثيرون لكنهم لن يروا بعضهم البعض ...

من هو ؟ من هو ؟ يتساءل كثيرا حتى أصر جسده على الراحة التي لم ينلها منذ استفاقته ، لبى (هو) نداء جسده الخفي ، رمى بجسده الذي لا يدركه أرضاً أو طرحه أرضاً ، شعر بوضعية و ألم إلقاء جسده على الأرض ، يا للغرابة ، يشعر بألم و وجع جسد لا يراه ، كمن يحاسب عن فاتورة مطعم دون أكل ، كمن يموت دون أن يحظى بقدر من عبثية الحياة الضحلة ، جعل ظهره في وضعية معانقة الأرض له ، ما زالت الأرض الرخامية أو التي تبدو كذلك تتمتع بالبرودة التي تميل للثلوجة و النعومة الملساء ، يستلقي (هو) أرضاً ناشداً نوعاً ما من الراحة و الهدوء و السكون يمكنه من إعادة ترتيب أفكاره ، ربما وجد في الراحة حسن التفكير و الروية أو ربما ملَّ العبث من العبث ذاته و استعطفته حالة (هو) و قرر أن يكون رؤوفًا به أخيرًا و عمل على تغيير خارطة اللهو بذلك الشخص ، أطلق (هو) لساعديه و ساقيه الذي لا يراهم و لكن يشعر بألمهم عنان الطيران و التحليق بعيداً عن جسده قدر الإمكان ، فربما وجد أي من أطرافه الأربعة ما لم يجده هو شخصيًا ، نظر هو للسماء من الوضع مستلقياً ، ما هذا ؟؟؟؟

لا وجود لسماء أو نجوم أو قمر أو ما شابه ، لا وجود سوى للعدم الذي كان يراه داخل الممر حينما كان بين جدارين ، لا وجود بالأعلى سوى للظلام الدامس المقبض للنفس الباعث على انعدام الأمل كلياً و جزئياً في النجاة ....

أغمض (هو) عينيه و تثاقلت جفونه و كأن قرار الراحة قد أصابها بالرضا و القبول ، و أبت إلّا أن ترضخ لقرار شبكته العصبية و ربما كان قرار مشترك مع عقله الذي بدا كمن بدأ إزالة صدأ من بين جنباته ، تشابكت جفونه و غالبا لن يستطع أحد أن يباعد بينهم على الأقل في الوقت الراهن حتى و إن كان (هو) شخصيًا ، يشعر بصوت العدم و السكون و الهدوء المنحاز لما يحدث بضراوة ، كما يرى العدم ، يرى الظلام الحالك و السواد الخالي من أية شوائب ، حتى يحدث بعد قليل ما لا يتوقعه أحد و لم يتوقعه (هو) ، يتحول ظلام خلفية عينيه الدامس رويدًا رويدًا لألوان مطموسة باهتة تستقطب خيال (هو) ثم تتجمع و تتشابك لتتبلور لألوان و أشكال و مشاهد جلية له .

يرى (هو) شاباً أسمر ملقى على الأرض و قد أصابه مكروهًا بينما يقف على مقربة منه رجل بزيه العسكري و بشرته البيضاء المكسوة باحمرار مقيت يبعث على الغثيان و قد حاول الرجل هذا النهوض من وضعية سقوط سابقة ليلتقط سلاحاً ناريًا (بندقية) بجواره إلا أن الشاب الأسمر تنتفخ أوداجه و تنتفض عروق جسده و تتطاير الحمية و الحماسة الشبابية من عينيه مشتاطًا غضبًا أو ربما قهرًا أو قد يكون تآلفًا و دعمًا للبعض ، متعرقًا رغم برودة أجواء ديسمبر ، يضربه بساقه ليطرحه أرضًا و يلتقط الشاب الأسمر السلاح قبل أن تمتد إليه يد الرجل ذو البشرة الحمراء المقيتة ، ينظر إليه يجده وقد استعد للانقضاض عليه مستخرجًا ربما سلاحًا ناريًا صغيرًا أخر أو ربما سلاحًا أبيضًا من طيات ملابسه العسكرية ،

يباغته الشاب مباغتة القتل من أجل البقاء مطلقًا رصاصة من السلاح لتستقر بصدر الجندي و يسقط على الأرض مضرجًا في دمائه ، لتظهر في الأفق فتاة جميلة يافعة بأحد أركان المكان و قد أطلقت صرخة صغيرة يبدو منها أنها كانت مؤيدة للشاب الأسمر الصغير و تخشى عليه من الهلاك ، تضع الفتاة كلتا يديها على وجهها غير مصدقة لما آل إليه الموقف ، متجهمة صامتة يشوب ملامحها الصدمة أو ربما العبوس ، تنظر للشاب الأسمر بصورة يعلوها الاندهاش و التوتر و عدم الأمان و بدأت بالتحدث إليه ...

الفتاة : صاااالح ، لا اصدق أنك بخير ، من فضلك أريد أن اطمئن عليك .

صالح : أنا بخير يا نادرة و الحمد لله ، و إن لم أكن بخير ، يكفي أنني لن أكن لأدع هذا الخنزير يقلل من شأنك أو يتعدى عليكِ ، فالموت عندي أهون من ذلك .

نادرة(تقترب منه لتعانقه) : لم أكن أعلم أنني قد وجدت من يضحي بعمره من أجلي ، هل هذا حقيقي ؟

صالح : نعم حقيقي ، منذ رأيتك و أنا أعلم أنك ستكونين لي .

نادرة : نعم بالطبع أنا لك ، و لن يستطيع شيء أن يفرقنا حتى و إن كان الموت ، و لكن علينا أن نفكر ماذا سنفعل الآن ، من المؤكد أن الإنجليز لن يدعوا أو ينسوا من قُتل دون أن يلقوا القبض على الفاعل و بالطبع لن يتركوه .

صالح : حسنًا ، لن يستطع أحد أن يمسّك بسوء أو أن يبعدك عني بعد الآن .

داعب (هو) جفنيه و هو يغط بسباته العميق ، يتثاءب و يتخذ جانبه الأيمن مضطجعًا له ثم يتجه للجانب الأيسر و يعود للتثاؤب من جديد ، يتحسس وجهه

بأنامله ، يستشعر أوداجه المنتفخة ، يرى صالح في شاطئ برفقة نادرة يجلسان بمواجهة البحر يحتوي ظهرها بذراعه بينما تستند هي برأسها على كتفه ، يتهامسان ، يتذكران (و قد ظهر عليهما مرور العديد من السنوات) ما قد مضى من عمر و ما ألَمَّ بهما من أحداث ، هذا و قد صار صالح رجلا ناضجًا و صارت نادرة امرأة كاملة الأنوثة و الجمال ، تمايلت الأمواج أمامهما في تلك اللحظات المبكرة من صبيحة أحد الأيام الشتوية التي تشعرهما بالدفء رغم برودة الطقس ، تذكرا والدها الشاويش شعبان و كيف ترك عمله بالبوليس منذ الحادث المشئوم و كيف رحل معهما للإسكندرية و استقروا جميعًا هناك بعد أن ساعدهم سرحان ابن عمه الذي يعمل هناك مستقرًا منذ سنوات بعيدة بل و ساعد شعبان و صالح في إلحاقهما بالعمل في الميناء البحري إضافة لإخفائهما عن الأعين و حمايتهما ، دار بخلدهما لحظات زواجهما (صالح و نادرة) و كيف بدءا حياتهما من شقة صغيرة جدًا بجوار الميناء ، حتى استقر بهما الحال بعد ذلك بشقة أفضل و أكبر ، و تذكرا لحظة وفاة والدها بعد الحادث الذي وقع له برصيف شحن و تفريغ الميناء حيث سقطت على رأسه إحدى الحاويات و قد كان حادثاً أجفل و أحزن كل من يعمل هناك حيث سيرة شعبان الطيبة كانت طاغية و مسيطرة ، يتأهبا للقيام ليلحق صالح بعمله بالميناء ، فتباغتهما سعاد ابنتهما مهرولة نحوهما تحتضنهما و قد صارت فتاة يافعة لا تقل جمالا أو أنوثة عن والدتها ، ليسألاها عن حالها بمدرسة المعلمين التي التحقت بها و التي كانت تتمناها لها والدتها دوماً .

تسيطر ضحكات سعاد ممزوجة بملامح هادئة ملائكية على خلفية ظلامية بأعين (هو) ، يحلو لـ (هو) بذهنه ما رأى ، يطلق تنهيدةً عميقة ، تبدو الابتسامة على وجهه ، يشاكس جفنيه مرة أخرى و يفتح عينيه بغير هداية أو نية مسبقة ، يفاجأ بنفسه و قد استيقظ عنوة ليلاحظ ما قد جعله مشدوهًا لفترة ما وسط غياب الزمن ،

هالة نورانية على مرمى الأفق تخطف بصره بشدة ، تسلب إرادته التي كان قد استعادها توا ، ينتفض واقفًا تعتليه النية القوية لاكتشاف ما قد لاح في الأفق ، يخطو بثبات متمهل ، يمعن النظر في تلك الهالة التي ما زالت بعيدة جداً ، لكن نورها كفيل بأن يجعله يراه ، ما زالت الأرض تبعث تلك البرودة المحمودة و النعومة الرخامية المثيرة ، ما زالت الأفق العليا بلا هوية و بلا معالم واضحة ، يسيطر على عقله الباطن وجه سعاد الضاحك و سط خطواتها التي تغلفها وثبات شابة ، يواصل (هو) السير ، يتخلل ذلك أصوات خافتة تدنو إليه لضحكات شبيهة لضحكات سعاد ، ينظر يمينه عن بعد و يمعن النظر لتلتقط عيناه مشهدًا وسط الظلام و ربما اقتحم عقله فقط دون عينيه و قد خُيل له ذلك .

رجل بحُلة رمادية أربعيني ذو لحية خفيفة قد تكاثر عليها نبتة بيضاء في خلسة من الزمن و إن كانت ما زالت تمثل إستثناءً و شعر رأسه الناعم البني بدرجة فاتحة و الذي لم تجرؤ الخصلات البيضاء أن تبدأ رحلتها معه بعد ، يهبط محمود من سيارته ليلا متوجهاً لمنزله بأحد الأحياء الهادئة بالإسكندرية و الذي يتوسط حديقة صغيرة تزهر و تخضر و تفوح منها رائحة عطرية مميزة تسيطر على القلوب قبل الأنوف ، يخترق بوابته الأمامية ليدلف عبر الحديقة الفيحاء و يصل لباب منزله المكون من طابقين بمساحة إجمالية صغيرة لكنها قادرة على بعث الجمال و الراحة و الهدوء المنشود لقاطنيه ، يدخل محمود مُحملا بإرهاق يومي معتاد من جراء مجهوده المضني في عمله كمترجم لكبرى الشركات الاستثمارية الأجنبية و الذي التحق بها منذ فترة ليست بالبعيدة ، لكنه أثبت كفاءة و مهارة فائقة جعلته يتقلد منصبًا تلو الأخر و قد نال ثقة أصحابها الأجانب و المصريين معًا في وقت قصير ، راحته المنشودة تتمثل في أشياء بسيطة جدًا عناق زوجته الجميلة سعاد صاحبة و

شريكة نجاحه و التي تعمل رئيسة ممرضات بأحد المستشفيات الكبرى بالإسكندرية أو ربما ابتسامة طفله الصغير حينما يراه بعد يوم طويل .

بعد جولة مطولة من العناق ، تناولا وجبة العشاء و التي تجمعهما يومياً صحبة ابنهما الصغير كامل.

يضع (هو) كفيه خلف رأسه مطالباً إياها بالتنصل من استكمال المشاهدة الإجبارية و لكنه لم يستطع سوى المتابعة الغير إرادية .

يجلس محمود و سعاد يحتسيان قدحين من الشاي و يستمعان لأغنية إذاعية مميزة لهما ، بينما يرقد ابنهما بجوارهما على الأريكة مستسلماً لنوم هادئ منعمًا بيد أمه تربت على ظهره تطمئنه و تهديه الراحة ، سعاد الفاتنة الجميلة التي يعشقها محمود منذ أن رآها لأول مرة و قد كان مريضًا ينازع الموت بعدما أقدم على الانتحار إثر مصادرة و تأميم أملاكه هو و والده ، استطاع أن ينال اهتمامها و حبها و استطاعت هي أن تتوغل لقلبه لطبيعتها المرهفة الحنونة الهادئة و لاستطاعتها بعد ذلك إقناعه بأن يبدأ رحلة حياته من جديد بعيدًا عن الماضي و عنجهيته و الألقاب و اندثارها ، و استطاعت أن تجعله يترك اللبن المسكوب و يدع أيضًا البكاء عليه ، و ما زالت تنعم سعاد بذات الحب و الهيام و الاهتمام ، نظراته التي تحتضنها ، سعادته لنجاحها و إعلانه الفخر لذلك في جميع المحافل ، الإشادة بها و المديح بحقها أمام الجميع و وصفها بأنها كانت و ما زالت صاحبة و شريكة و صانعة نجاحه ، عناقه لها وقت الخلاف ، رؤيته لها كشريكته و رفيقته في الحياة ، يغفر لها دائمًا زلاتها القليلة و مزاجها المتقلب بابتسامة طفيفة و ربما عناق مباغت ، هو يدرك أنها بحاجة لذلك ، فأعصابها المشدودة أحيانًا ناتجة بطبيعة الحال عن عملها

الطبي المرهق و الذي يتطلب شخصاً مثل محمود يحتويها و يقدر تعبها و يحبها و يعشق نجاحها .

تتطاير لحظات انتعاش عاطفي من داخل (هو) تجعله يطلق ابتسامة لنفسه و يحك ذقنه بيده ليستشعر لحية خفيفة ذات نبتة قصيرة ، يُذهل و يتعجب فيضع يده على رأسه مندهشًا ليفاجأ بشعر انسيابي ناعم .

يحالف (هو) الحظ كثيرًا لإدراكه لحظات رومانسية من نادرة و صالح ثم سعاد و محمود ، من هؤلاء ؟ و لماذا أراهم (يحدث نفسه)

و كيف أراهم من الأساس ؟

هل هي رؤية عين أم رؤية عقل و روح فقط ؟

لا أفهم ذلك كما لا أفهم ما يدور حولي و يحدث لي منذ بداية هذه الإرهاصات الليلية المعتمة ، الغريب أن (هو) لا يشعر ببرودة الطقس رغم أنه في العراء كما يبدو أو كما يصح أن يكون.

ينظر (هو) للهالة النورانية التي خلقت من قبل ليرها و قد تفاقمت إشعاعًا و توهجًا و ازدادت قطرا و محيطًا ، ينتبه لها ليخطو إليها بخطوات واثقة لا ينقصها النشوة لا يعلم من أين له بهذه الثقة و تلك النشوة ، يختال ذاته ذهابًا ، ينظر لأعلى و ما زالت الأفق العلوية مبهمة يسودها الظلام الحالك المطبق على روحه إن ألح في النظر ، المكان بجدارياته الدائرية البعيدة جدا يكاد يوشك أن يصادق وجود (هو) الذي اعتادت عيناه على وجوده و أبعاده و إحداثياته التي لا تتبدل مؤخرًا مما يدل أنها لا نهاية لها ، ينهل من هواء منعدم شهيقًا و من سكون صادم سكينة و من أملٍ

غير مؤكد صبرًا و مثابرة ، يسير ملقيًا بذراعيه الغير مرئيين يمينًا و يسارًا ، ينظر للهالة النورانية التي توهجت و اتسعت و كأنما هو بطريقه لاصطياد لغزها و كبح جماح من أطلقها ليباغته أو ربما يرد له مباغتته الغبية الحمقاء ، حاول أن ينظر لأسفل مستقرًا فقد يجد جسده و قد لاحت ملامحه و ربما سيظهر الجسد خجلا من تلك الهالة النورانية الجديدة أو يستدل (هو) على ماهيته المطموسة و لكن ما حدث لا يقل إجلالا عما حدث من قبل ، فقد رأى سروالا بأسفل حيث استقر نظره .

شخص ما يهندم سرواله الأسود ثم سترته السوداء و قميصًا أبيضًا و رابطة عنق رمادية ، هذا الشخص بدا كرجل يمر بحدث عظيم لا يتكرر كثيرًا ، يقف مرتديًا حُلة كاملة في أبهى صورة ، هو بالفعل يلتقط صور زفافه بجوار عروسه الحسناء الرقيقة البيضاء التي تمرر أناملها على شعرها الحريري لتنسقه ثم جانبي نهديها المرمريين من الخارج وصولاً لمحيط خاصرتها لتهندم فستانها الأبيض الذي زادها رونقًا و جاذبية و جعلها عن حق قمر (الفتاة الحريرية) كيفما لقبها زملاء مصنع المنسوجات بالمحلة الكبرى ، و التي استحوذت فيه على قبول الجميع لجمالها الروحي و الأخلاقي و المهني فضلا عن جمال ملامحها الساحرة ، قمر لم تحظى فقط بقبول و رضا و استحسان الزملاء و الجيران و الأهل بل نالت إعجاب و اهتمام المهندس كامل مدير الإنتاج و الشريك الأكبر في مصنع المنسوجات التي تعمل به ، و خصوصاً بعد وفاة زوجته الأولى مصرية التي لفظت أنفاسها الأخيرة أثناء ولادتها لابنتها الثانية غرام و قد تركتها رفقة أختها الكبرى هيام و اللتان أصبحتا الحياة برمتها لوالدهما المهندس كامل و الذي أضطر للزواج من قمر كي تكن بجواره و تساعده و تعضده ليس فقط على تربية ابنتيه و لكن لاستكمال حياته التي عهدها مستقرة منذ كان برفقة مصرية تلك السيدة التي لم تدخر جهداً لتحقيق

السعادة له و هو أيضاً لم يكن سوى الشخص المخلص لزوجته و بيته و أسرته ، كان الرجل الحق الذي يستحق هذا اللقب ، كان حنونًا معطاءً كريمًا ماديًا و أخلاقيًا و عاطفيًا ، لم يتزوج قمر طمعًا في مواصلة حياة زوجية حسية جنسية فقط بل ناشداً لاستقرار أسري و محافظاً على ابنتيه الصغيرتين مطمئناً لكونها فتاة طيبة جميلة حنونة أحبت ابنتيه كما أنها نالت حبهما أيضاً ، و انجذاب الطرفين للآخر كان ملموسًا من أول وهلة و من أول لقاء بين قمر و بين هيام و غرام و خصوصًا هيام التي كانت تخطت الثالثة بقليل أما غرام فما زالت رضيعة و إن كانت تحن لها و تنتبه لوجودها و لصوتها .

يقف كامل تبدو عليه السعادة و راحة البال و الرضا مداعبًا لحيته السوداء بينما ينظر لطفلتيه اللتين تحملهما والدته الحاجة سعاد و التي اتجهت للبقاء رفقة ابنها كامل بالمحلة الكبرى و تركت الإسكندرية بعد وفاة محمود زوجها و والد كامل منذ سنوات .

يصعد (هو) بنظره لأعلى بعدما عاصر ما فعله كامل ذلك الشخص الذي أثار عطفه و احترامه في آن واحد ، تعاطف معه كونه أب لطفلتين يتيمتين و احترمه و قدر فعلته حينما تزوج من سترعى و تحفظ حقهما في الرعاية ، تنهد (هو) و تنفس الصعداء بلا هداية و بلا سبب فهو ليس متداخلا في تلك المشاهد و الرؤى و ليس له أدنى تفاعل سوى كونه مُشاهد ، أو ربما سيطالبه البعض بتقييم المَشاهد و تحليلها فيما بعد أو ربما سيكون بمقدوره أن يفك طلاسم لغز أو بضعة ألغاز قد تكون مساهمة بجدية في حل لغزه هو شخصياً ، ينظر لتلك الهالة النورانية التي زادت و كبُرت أكثر و أكثر بينما هو يداعب لحيته التي .... التي أصبحت لحية بالمعنى المألوف المتعارف عليه و ليس فقط كونها ذات نبتة بسيطة ، بل صارت

لحية لم تُحلق منذ ستة أشهر على الأقل ، كيف ذلك ؟ لا يعلم ، و لم يعد يكترث بالغرائب و غير المألوف كثيرًا ، صار (هو) توافقيًا مع الأوضاع المتغيرة و التي زادت وتيرة تبدلها أخيراً ، يُمعن النظر في هالته المنشودة و التي تحمل بارقة أمل غير مؤكدة و لكنها على الأقل تنذر بجديد ، يقترب (هو) بخطوات ثابتة نحو الهالة المبشرة ، يراها و قد زاد توهجها و نورانيتها و رهبتها لأول مرة و قد بدأت أيضًا تُشكّل على هيئة جبل صغير أو ربما بوابة عملاقة أو قد تكون كائناً أسطورياً سيدنو إليه في لحظة أو أخرى ليلتهمه أو ليقدمه قرباناً مستأنساً لأصحاب تلك العبثية الحمقاء لتنتهي و ينتهي (هو) معها ، ظل بصره مسلطًا عليها لا يقوى سوى على الإذعان لذلك و لا يملك بصره المحدود إلا رؤية ما أرادته له تلك الهالة .....

امرأة تجلس غاضبة متوترة غير مستقرة البال على أريكتها التي تبدو و كأنما تواسيها و غالبًا قد اعتادت على ذلك ، تتنفس المرأة ممشوقة القوام نسبيًا حادة الملامح متوسطة الجمال بغير روية ، تعيد تهيئة نهديها داخل حمالة صدرها بنمط غير إرادي ، يصر هاتفها الخلوي على الرنين بنغمة (كلهم بيقولوا كدة في الأول) تلتقط الهاتف لترد على من بالجانب الأخر و الذي يبدو أنه ألقى على مسامعها بعض الكلمات المستفزة الحمقاء و قد أثارت حفيظتها بل و غضبها الجم فما كان لها إلا أن أطلقت وابلا من اللعنات و الصيحات المتلاحقة النمطية المعلبة و التي تبدو للوهلة الأولى ذات اعتيادية مكررة على لسان تلك المرأة ، تنهي المرأة الغاضبة مكالمتها و تلقي هاتفها جانبًا لتجد بعض عبراتها المكلومة طريقها سريعًا عبر وجنتيها ، تأتي سيدة عجوز لتجلس بجوارها تربت على كتفها ثم تعانقها مرسلة بعض القبلات الملطفة الحنونة على جبهتها ، السيدة العجوز لم ينل العمر من ملامحها الجميلة الحريرية ....

السيدة العجوز : حبيبتي أمنية ، أنتِ لستِ المطلقة الأولى و لن تكوني الأخيرة ، لماذا جلد الذات و تأنيبها الدائم ؟ لماذا الاكتراث بما ليس لكِ به ذنب ؟

أمنية : و لكنني طُلقت للمرة الثانية من الزوج الثاني ، و في كلتيهما لم أكن مقصرة في حق زوجي أو في حق نفسي ، رغم أنني لم أكن سعيدة بل كنتُ مثابرة لأخر لحظة بحياتي الزوجية .

السيدة العجوز : كنتِ مقصرة حينما ارتضيتِ الزواج لمجرد الزواج ، وافقتي على ما أرغمتك عليه الحياة و ليس ما طلبتيه لنفسك ، جلبتي لنفسك العناء لمجرد أن تكوني أماً و لكن أحمدي الله أنكِ لم يكن لكِ ذلك من كليهما ، هل يستحق مطلقك الأول أن يكون والد طفلك ؟ هل سترضين لطفلك أن يرتبط مصيره و اسمه بمصير و اسم هذا الرجل ؟ فسوء خلقه كان كفيلا بأن يجعل طفليكما كارهًا حياته مدى العمر و ربما كارهًا لكِ لسوء اختيارك ، و كذلك مطلقك الثاني الذي لم يكن متزوجًا أمنية السيدة الجميلة المثقفة ذات الخلق ابنة كامل و قمر و لكنه كان متزوجاً مطلقة مقابل أن يبتزها مادياً و يسلب ميراثها و ثروتها و مدخراتها بل و يُجهز على ما تبقى من توافقها النفسي الذي واظب على الانهيار دون ملل .

السيدة العجوز (قمر) : عليكِ أن تحمدي الله كونك لفظتي تجربتين دون جراح عميقة (و هي الأطفال) فقط كانت ندبات و جروحاً سطحية ، و ليس كل الأطفال ملائكة ، فانظري لأبناء هيام و غرام شقيقاتك و اللتان تسكنان معنا بنفس البناية ، أبناؤهما ليل نهار لا يدخرون جهدًا في استشاطة غضبهما ، و تذكري أنكِ على درجة عالية من الثقافة كذلك درجة علمية لا تقل عن هيام و غرام و كان والدكم حريصًا أن ننتقل جميعاً للقاهرة لتتعلمن أفضل تعليم و لتستكملن دراستكن العليا كما فعلتي أنتِ و هيام .

أمنية (ضاحكة معانقة والدتها بشدة و باستماته) : وجودك معي هو السبيل لسعادتي بالحياة بل أنتِ يا أمي الحياة .

يرتعد (هو) منتفضًا ليس خوفًا أو رعبًا و لكن كمن بدأت أنامله تتلمس الحقيقة التي ظلت غائبة أمداً طويلا و بدأ يشعر بوهج الهالة النورانية المبشرة الحادة و الذي يوقظه من مشاهداته الإجبارية ، يشعر (هو) بأحاسيس غريبة جديدة ، أحاسيس لا تدل على ماهيته الوجدانية السابقة ، بدأ (هو) يتحسس بيده التي لا يراها جسده الذي بات أكثر نعومة و أكثر ليونة ، و.... و..... وصلت يده لصدره فوجد شيئًا جعله أو.... أو جعلته مشدوهة ، نهدان رائعان لأنثى متوسطة الجمال حادة الملامح ممشوقة القوام ، أدرك ذلك حينما أكمل تمرير أنامله ، اشتاط (هو) اندهاشًا و ليس غضبًا ، تعجبًا و ليس تأففًا ، استغرابًا و ليس استنكارًا .

لم يستطع أن يكمل (هو) ملاحظاته حول ما يحدث حتى أجبره التوهج على الولوج سريعًا و بصورة خاطفة نحو تلك الهالة النورانية المبشرة و التي صارت هيئتها أقرب ما يكون لبوابة ضخمة جدًا يرتسم عليها ملامح أدمية عديدة و أشكال مختلفة مبهمة و غير متضحة ، يقترب (هو) بشدة حتى يجد أن تلك البوابة قد أصبحت قيد بضع خطوات مستغربًا ذلك الدنو المفاجئ فقد كانت منذ قليل (المجازي) أبعد ما يكون فكيف لها و قد اختصرت الكثير من حدود المنطق و العقل و الزمان الغير موجودين من الأساس ، تدنو خطواته برهبة تستطلعه و تستشرفه لأول مرة منذ بداية تلك الإرهاصات التي لا يستطيع (هو) أن يطلق عليها ليلة ، فقد طُمس الزمان و المكان بل و فرضياتهما من عقل و وجدان و مخيلة (هو) ، في تلك الأثناء لم يلعب (هو) دور المشاهد السلبي المتوارى الذي أتقنه جيدا و لكنه بدأ يستشعر إحساس المشارك الإيجابي أو ربما الممثل الصامت على الأقل ،

شعر (هو) بوهج الهالة يجتاحه داخلياً يخترق شراييه و عروقه ، انتفض (هو) بصورة خفيفة تدرجت لمتوسطة ، شعر بجسده و كأنما تبخرت منه بعض المواد و الجزيئات غير الهامة و غير النافعة ، شعر بجسده و قد صار رشيقًا أو نحيفًا جدًا ، تحسس إحدى ذراعيه الغير مرئي بعدما شعر بوخزة و قد صار مرئياً ، فوجد ذراعًا رفيعًا كقطعة خشبية رفيعة أوشكت على الانقراض حسيًا و عليها ندبات صريحة فلم يكترث بذلك طويلا و لكن ما أجفله فعليًا هو ما لم يكن يتوقعه ، ظهر أمام (هو) لوحة فراغية على العدم خلفيتها بوابة هالة الوهج النورانية عليها ساعة افتراضية برقم 30 و يتناقص برقم تلو الأخر يصاحب ذلك عدة تغيرات منها أنه كلما يتناقص الرقم يدنو (هو) لا إراديًا من بوابة الوهج خطوة ، و يصاحبها أيضًا أصوات طنين عالية جدا بأذني (هو) تتزايد كلما تناقص الرقم ، كما بدا لـــ (هو) أنه بداخل قفص زجاجي لا يراه يضيق خناقًا عليه كلما انتقص الرقم .....

29..28..27..26.....15 يزداد طنين الصوت لدرجة عالية جدًا يتعرق معها (هو) ، يزداد القفص الزجاجي في إحكام الخناق عليه ، يقترب (هو) بشدة للبوابة النورانية .....

10..9..8..7..6.....5 طنين الصوت لا يُحتمل ، و يبدو من شدته أن (هو) قد يصاب بفقدان السمع للأبد ، القفص الزجاجي غير المرئي يكاد أن يقتلع أضلعه ، أوشك (هو) أن يضع أحد ساقيه بالبوابة النورانية التي تستعد لاستقباله و كأنها وجدت من أجله فقط .

4..3..2.....1.....0 تنفجر أصوات الطنين بداخل أذنيه ، و يسمع (هو) أصوات زجاج يُهشم و ينفض من حول أضلعه التي كادت أن تُطحن ، تجتذبه البوابة النورانية كأنها لوح مغناطيسي ضخم يلتهم ما له من معادن ، و معها تنطلق صرخة (هو) بصوت عالٍ مدوٍ كانفجار لغم وسط أجواء صماء ليسمعه لأول مرة و يتعرق رغم برودة الطقس .....

*****

90 آدن
محمد مهدي صادق

الفصل الثالث

(الحقيقة)

تتهادى لأذنيه أصوات طيور مختلفة تتناغم بانسيابية و تداخل لتكون فرقة موسيقية تعزف مقطوعة موسيقية رقيقة خالية من النشاز أو الافتعال أو حب الظهور و السيطرة ، تصمت الطيور تارة لتعيد قراءة خريطتها الموسيقية المكتوبة ببراعة لا نظير لها و تخفت تارة أخرى مستعيدة نشاطها من جديد ، أنغام الطيور توحي بأنها طيور رقيقة و مغردة فقط و ليس بينها طيور جارحة أو مؤذية ، تبدو و كأنها قادمة من مختلف البلدان و الأقطار و ربما الأكوان التي لم يطأها بشري أو غيره من قبل ، منها ما يمكنه أن يستدل عليها كالعصافير و البلابل و منها ما يسمعه لأول مرة و هو أكثر روعة و جمال و سحر مما سبق ، تنسج له أصوات الطيور صورًا ملونة دون أن يراها ، صور قد يمكنه قراءتها من الصوت ، منها ذات الألوان الهادئة و منها المثيرة و الدافئة و منها الألوان الباردة و الآمنة المطمئنة ، يكسو الصور المسموعة الإحساس بالحب و الود و الجمال الغير مرئي .

تنبهر أذناه بما سمعت من أنغام تشدو بها كائنات لا تملك سوى منح الجمال و الحياة ، لا تعرف سوى العطاء بلا مقابل و بلا انتظار ردود الفعل و بلا ترقب كلمات أو نظرات إشادة و مدح و غيرها من الحماقات التي يرتكبها ما دون الطيور من مخلوقات لا تعرف معنى الحياة أو تحديدًا الحياة الحقيقية.

يخشى أن يفتح عينيه فيفقد معزوفات لحن الجمال و هو ما لم يسمع مثلها من قبل و لم يكن ليتوقع أن تصل أذنيه مثل تلك الأصوات الرائعة الحالمة ذات الصلة بالجنة بلا أدنى شك ، الجنة التي طالما سمع بها كثيرًا و لم يرها كما لم يرها بالتأكيد من أسمعوه عنها العجب العجاب ، تحدث عنها بكلمات قليلة مقتضبة من قبل و لم يفطن لما تحدث ، ترتسم على وجهه النحيف ابتسامة رضا و قبول و انتشاء ، ابتسامة من وجد أكثر مما سعى و حصد ما لم يكن يتوقع و ظفر بكل رغد الحياة ، يشعر بنسائم

منعشة ملطفة تلامس بشرته تداعبها برفق مدروس و متناسق بلا تهويل أو تهوين ، تزداد ابتساماته الطفولية الغير متعجلة برؤية ما يشعر و ما يسمع ، يشم روائح و عطور فواحة ليس بمقدورها فقط أن تعطر الكون بأكمله بجميع أرجائه و لكنها تستطيع أن تعطر الماضي و تصيب المستقبل بعبقها الخلاب الذي على ما يبدو أنه كفيلا بأن يفعل الكثير بأنوف من يخترقه ، قد يجعله يثمل حتى لا يدرك إن كان بشريًا أم طائرًا أم قطرة مطر تحولت لشلال جامح أم قطعة ماس بيد فاتنة ، و قد يجعله هادئ بسكينة و استقرار غير عابئ بما سيؤول إليه الكون ، و قد يجعله هائماً عاشقًا ينهل من رياحين النساء بلا جهد يذكر و يستشعر فوارقهن المتعددة بعد أن أنعش ذكوريته بقدرة هائجة أسطورية تجعل منه آلهة للجنس يغوص بين كنوز الشقراوات ليعيد لهن الحياة بدفء رحيقه ، يدشن من كهوف أسرار السمراوات ملجأ له من البرد الغير محتمل و الذي قد يأتي عندما يتمادى بعصر أجساد النحيفات عناقًا ، يجعل بين أثداء النساء تجويفات و جيوب يعشق القاص و الدان رؤيتها و يفضل هو شخصيًا أن يصنع منها مراسي متعددة تختلف في درجات الدفء و النعومة و الاتساع لباخرته التي لا تهدأ ذهابًا و إيابًا بين بحار و محيطات الكون .

يفتح عينيه بابتسامة عريضة لا تفارقه ، و كأنما حلم بأميرة جميلة من أميرات الأساطير و قد تزوجته و أذقته طعمًا مختلفًا عن المرأة و منحته شرفًا لا يضاهيه شرف لمعاشرة نسل لم يكن ليتوقعه ، أو كأنما رأى في حلم طويل كنوزًا قد امتلكها أو سلطانًا ناله و هيمن على الكون و صار هو صاحب السطوة و السلطة و القرار ، يتحسس وجهه و رأسه ، يرى جسده و يمرر أنامله فوقه ، جسده الأبيض النحيف و لكن بغير شحوب و بغير ندبات ، ما زال نحيفًا لكنه يشعر بالصحة و القوة و الجمال و ..... و ..... ما هذا ؟ أين ملابسه ؟ آدن عارٍ تمامًا سوى من خرقة

تواري عورته ، عورته التي ما زالت كما هي و لكن بشكل يبدو أكثر صحة و ذكورة و عنفوان و هو بالتأكيد لم يكن كذلك من قبل ، يدلف آدن بذاكرته للوراء و لا يتذكر سوى أنه كان يحاول الخلاص من حجزه الزجاجي الناتج عن تورطه بإحدى تطبيقات الغباء الإلكتروني المتقدمة ، لكنه لا يذكر سوى أخر ثوان حينما كانت الأصوات تكاد تفجر أذنيه و عقله ثم لم يشعر بأي شيء سوى الآن ، يحاول آدن القيام من رقدته ، يطاوعه جسده بمرونة كبيرة و خفة لم يعهدها من قبل رغم خفة وزنه ، بينما يخطف بصره ما لا أعين رأت و يجذب سمعه ما لا أذن سمعت و يأسر روحه و وجدانه ما لا يخطر على عقل و خيال و تأملات بشر أو غير بشر ، يتمتم آدن بصوته الذي صار عذبًا كما لم يعهده من قبل أو ربما صار نقيًا بلا شوائب فاعتقد أنه صار أجمل ، مد يده محاولا الضغط بطرف أصبعه بصيغة معينة على ضلع محدد كي يدرك سباته أو يقظته ، تلك الخاصية غير موجودة من الأساس كأنها لم تكن من قبل ، لا وجود لذلك و لا تدرك أنامله أو أضلعه ماذا يريد ، يسحب بكف يده الفراغ ليجلب الساعة الافتراضية ليُعلم نفسه الوقت و لكن لا شيء يحدث ، لا ساعات افتراضية و لا تطبيقات ذكية و لا خواص حسية متقدمة ، لا وجود لشيء مما كان عليه عام 2070 قبل دخوله الحجز الزجاجي ، آدن لا يعلم ماذا حدث و رغم دهشته و تعجبه إلا أن الابتسامة العريضة لا تفارقه أبدًا ، نظر أمامه و حوله و خلفه و بجواره من الجهتين ، متسع كبير من السهول الخضراء بلون أخضر حقيقي و ليس مستعارًا ، لون لم يدركه من قبل و لكنه أدرك نقاءه و استدل عليه من سابق خبرته بالألوان التي كانت على ما يبدو تقليدًا غير أصلي أو ربما كانت سخرية من جنسه حتى لا يعوا الحقيقة ، أعشاب قصيرة خضراء زاهية جدًا تصدر سحرًا يجذب الأبصار بغير إرادة ، تبعث راحة لم يكن لينشدها أعظم الكتاب الرومانسيين ، يتخلل ذلك النسمات الملطفة الهادئة و التي تتوغل بجنباته ،

يعلوها أشجار بألوان شتى خضراء كسابقتها و بنفسجية و وردية و بيضاء و حمراء و غيرها من الألوان التي لم ترها أعين من قبل ، بالطبع كل الألوان أصلية لم يصل لها يد التقليد أو الخديعة ، تطلق الأشجار حفيفًا بغير رياح ، يرافقها فوق الأعشاب أزهارًا و ورودًا أو كما تبدو كذلك فما يراه آدن لم يره من قبل ، تتمايل الأزهار لبعضها البعض و كأنما تتعانق عن غير هداية و بلا قرارات و حسابات مسبقة ، يواكب ذلك أصوات الطيور الجميلة الشيقة التي لا تجعلك تمل أو ترحل بأذنيك بعيدًا عنها ، ما زاد على ذلك رؤيته لتلك الطيور المغردة الموهوبة التي لا تنشد سوى الجمال للآخرين بلا مآرب أو ضغينة ، في واقع الأمر هو لا يعلم نوعًا واحدًا من تلك الطيور ، حتى ما كان يوقن أنها عصافير أو بلابل أو ما يعرف من طيور هي غير ذلك ، طيور بألوان زاهية متفردة لا تقل جمالا عن العشب و الأشجار و الزهور و إن كان تحرك و انطلاق الطيور حاملة ألوانها الخلابة أمامه جعله يطلق لذراعيه حرية التحية لها و كأنما يحاول إغواءها بالهبوط لمؤانسته ، تختلف أحجام الطيور فمنها الصغير جدًا لدرجة تجعلك تراها بصعوبة و هناك الصغير بشقاوته و جماله و هناك الأكبر الحنون الدافئ ، و كيف لا و قد تناغمت أصوات الطيور بلا نشاز أو محاولة الظهور و فرض السيطرة ، كان لتكامل نمط الطيور مفعول السحر في إخراج معزوفة لحن الجمال .

يحاول آدن أن يخطو للأمام فتطاوعه ساقاه بخفة كبيرة و رشاقة لم يعهدها من قبل كأنما ينقله أحدهم عبر بساط ريح سحري ، تُعرج السهول العشبية المزهرة أمامه بانسيابية غير ملحوظة صعودًا و هبوطًا يمينًا و يسارًا بصورة مريحة و كأنما لا يراد به أن يشعر بالملل و عليه الآن أن يحدد اتجاهاته ، هو يسير كالذي يعرف المكان جيدًا و يحفظ تضاريسه و منحنياته ، تهديه روحه لذلك بلا سؤال أو حيرة أو تردد ، ينظر للسماء الصافية بزرقة أصلية لم يرها من قبل ، تلك السماء التي

تظله بسحابات حنونة لا مبرر لها فالطقس هادئ مستقر لا ينذر بغيوم أو أمطار أو ما شابه فلما السحابة و التي بدت كمظلة فقط ، تؤنسه بوحدته و تهديه ربما لشيء ما لا يعلمه حتى الآن ، الشمس أيضًا تنير له الطريق بنور يبدو و أنه قد اختُزل منذ آلاف السنين و لم يعلن العصيان إلا الآن ، شمس مبهرة الضياء و لكنها غير حارقة و غير حارة و غير دافئة ، هي بالتأكيد اعتزلت مهامها سوى الساحر و الخلاب ، يواظب آدن سيره الرشيق مستنشقًا نسيمًا عليلا باعثًا على الاستمتاع و مواصلة السير و البحث عن المجهول لوقت غير معلوم ، فلا يوجد ما يؤرقه و لا يوجد ما يجعله متعجلا ، يريد آدن أن يعرف الإجابة عن بضعة أسئلة منطقية لماذا هو هنا ؟؟

ما هذا المكان ؟ كيف أتى إليه ؟

ماذا يتوجب عليه فعله ليعود لعالمه و بيته و أمه ناني ؟

طيلة سيره و العطر الفواح لا ينقطع ، و أصوات الطيور لا تصمت أبدًا فتغرد بلا ملل للسامع ، العشب و الزهور و الأشجار على مرمى البصر لا نهاية لها ، الأصح وصفًا هو أن آدن يستمتع بما يحدث حوله ، يستمتع بعالمه الجديد الذي لا يعرف سبب وجوده فيه و آليات التعامل معه و إمكانية الخروج منه ، هو يستمتع فحسب .

سرب طيور ملونة يغلب عليها اللون الأبيض و الأزرق يحوم فوقه ليقف قليلا و كأنما يريد أن يبلغه رسالة معينة ، يغرد السرب بجماعية بأحرف لا يفهمها آدن ثم ينطلق منحدرًا قليلا لليسار فيدرك آدن أنها علامة على حتمية اتباعه لسرب الطيور المهاجرة تلك ، فالطيور لا تخطئ رسائلها أبدًا ، يتتبع السرب ببصره حتى يجده و قد استقر بعيدًا في شكل دائري منمق ، يهبط بعضًا من السرب لأسفل بينما يظل ما

تبقى كما هو ، حتى يعلو ما قد سبق و هبط ليحل بدلا منه بقية السرب ليهبط و يصير الأخر محلقًا مرة أخرى ، يدرك آدن أن عليه الإسراع في الوصول لتلك البؤرة التي تحمل عنوان (نقطة البداية للمعرفة) ، تمكنه خطواته من ذلك و التي بطبيعة الحال لا يبدو عليها أثرًا لتعب أو مشقة أو عناء سير ، فخطواته رشيقة خفيفة و كأنما تعرف طريقها و لا تكترث إن سارت مدى الدهر و لا يبالي معها آدن بذلك ، يصل آدن متعجبًا من ثبات وتيرة أنفاسه رغم سيره السريع و الذي يقترب من العدو ، لكنه أدرك قوانين اللعبة سريعًا ، لا تعجب أو اندهاش أو تساؤلات حمقاء ، يصل آدن لنهر كبير و قد كانت الطيور تهبط لتروي ظمأها ثم تعود و تحلق لتبدل حالها مع البقية ثم ينقسم سرب الطيور لبضعة أفواج تم فصلها و توزيعها بعناية فائقة ، كان نهرٌ كبيرًا بلون أقل درجة من لون السماء الصافية و مياه جارية شفافة تُظهر ما تحتها ، يهبط آدن بإحدى ضفتي النهر بينما كانت الطيور تحلق بالضفة الأخرى ، لا يعلم لماذا جنحت الطيور للجانب الأخر بينما هذا الجانب من النهر كان أقرب ، الضفة التى بها آدن لا يوجد بها سوى عشب و زهور و ورود فقط أما الضفة الأخرى بها إضافة لما سبق الأشجار الساحرة بألوانها السحرية و.....

ينظر آدن مشدوهًا متأملا ممعنًا و محدقًا بعينيه التي حك جفنيها جيدًا فما رآه آدن كان العجب العجاب ، رأى آدن أناسًا يستظلون بشجر وارف الأوراق ، بل أن كل شجرة يجلس تحتها شخصان رجل و امرأة أو شاب و فتاة ، تنحني الشجرة لتصنع مخدعًا لمن تحتها ، بين كل شجرة و أخرى بضعة أمتار و يحلق فوق كل شجرة فوج من الطيور ، و لكن يبدو جليًا و بغير عناء أن كل شخصين بمعزل عن الباقي و لا سبيل لهما لرؤيتهم ، بينما يراهم آدن جميعًا ، فجأة يتحسس آدن عورته المغطاة بخرقة صغيرة خشية أن يراه أحدهم و لكنه تمالك نفسه فمن لا يقوى على

رؤية الجالس بمقربة منه لن يقوى على رؤية الجالس على الجانب الآخر من النهر ، ينظر آدن إليهم و هم جميعًا في أبهى صورة قد يكون عليها المرء و في أصدق و أروع ظهور له على الإطلاق ، هم مثله لا ملابس لهم سوى ما يغطي عورتهم فقط ، النساء مغطاة العورة السفلية ، أما نهودهن فقد كانت مكشوفة ، و على ما يبدو فقد جذبت نهودهن سرب الطيور أكثر من الماء ، يستخلص آدن من كل زوجين صورة يراها منفردة متناغمة ، هناك شاب أسمر بعمر صغير يعانق فتاته الجميلة الحسناء الصغيرة العمر و يقبلها بعنفوان و اشتياق لتبرُز عروق رقبته القصيرة و أوداجه المنتفخة المتحفزة لما هو قادم ، تداعب أنامل الفتاة كاهل الشاب الأسمر لتطمئنه أنها باقية دون رحيل .

تلتقط عيناه مؤخرة و أرداف امرأة ناضجة يافعة ترقد فوق رجل بلحية نبتتها خفيفة ينازع بعضها الشعرات البيضاء و شعر رأس يبدو من بعيد بنيًا ناعمًا ، الرجل مستسلم عن حب لرغباتها الهائجة الطائشة ليتعانقا و يلتفا ليظهر له ظهر الرجل منازعًا متمايلا ذهابًا و إيابًا ، يستطيع آدن أن يرى الآن نهدين رائعين مكتظين باللحم الأبيض الشهي لتلك المرأة المثيرة بغير شفقة و الجامحة عن غير هدى.

يُهدئ آدن من روع ما تحت خرقته و الذي صار مشدوهًا أكثر من آدن ذاته ، تتشابكا ذراعا آدن أمام صدره و هو متعجبًا من شيء غريب ، فمن رآهم حتى الآن كأنما يعرفهم و يحفظ ملامحهم و يفطن جيدًا لأجسادهم و إن أقترب سيدرك رائحتهم جيدًا بلا أدنى شك .

يطلق آدن نظره لما يليهم من زوجين آخرين ، ليرى رجلا بلحية خفيفة يطلق لنفسه عنان التحرر حتى من الخرقة الصغيرة ليباغت فتاته الجميلة من الخلف محتضنًا إياها بشدة و اعتصار قوي ، تبدو فتاة حريرية جميلة تجهر بأنوثتها التي تعلن عن

نفسها باختيال و زهو خصوصًا عندما يلتفا ليظهرا من الجانب و قد التهمت كفا يديه نهديها المنتصبين بشدة ليغازلهما كما أراد ، يبدو أنه يملك خارطة تلك الجسد أو ربما هو من وضع إحداثيات الخريطة بيده ، بينما تلتهب ملامح الفتاة الحريرية التي أغلقت عينيها لتغط في عشق عميق و اعتلت إحدى شفتيها الأخرى ملتهمة طعم الكرز ، بينما ينتفض أحد ساقيها برعشة شديدة يلحقها انتفاضة لمؤخرتها و ردفيها .

واقع الأمر أن آدن فقد السيطرة على ما تحت خرقته و لم يعد في الإمكان أن يجعله ينصت له و بالأخص عندما حدث ما لم يحدث في الحالتين السابقتين ، حدث أن ظهرت إحداهن من خلف الشجرة الوارفة لتحل بدلا من تلك الفتاة اليافعة و تختفي الفتاة الحريرية خلف الشجرة و قد اتخذتها ملجأ لها بدلا من المرأة الأخرى ، ليعيد الرجل ذو اللحية الكرة مجددًا بصورة مغايرة و لكنها لا تقل حماسة عما سبق .

يتصور آدن أن الوضع سيتكرر في الشجرة التالية و الجلسة التي تقبع تحتها و لكن ما حدث كان مختلفًا و جديدًا و شيقًا أو ربما محيرًا ، امرأة ممشوقة القوام حادة الملامح متوسطة الجمال لكنها جذابة يعتريها الرغبة و الشوق و الحرمان و يبدو ذلك من غزو أناملها لجسدها تمريرًا ذهابًا و إيابًا و من استدارة كفيها حول ثدييها كمن تعدهن لجولة تنشدها و تأملها و لكن لا تنتظرها ، نظرات عينيها و استقامة ظهرها و زهو ثدييها و علو جيدها يشي بأنها قد تكبح جماح رغبتها إن كانت من الممكن أن تُسيء لكرامتها و عزتها و كبريائها ، ما هذا ؟؟؟؟؟

يظهر فوق الشجرة خيالات سريعة متعاقبة تتبلور في صورة رجلين مختلفين كشبحين يريدان الانقضاض على المرأة التي لا تراهما و لكن دون فائدة و لا استطاعة لهما أو تمكن من ذلك ، يظهر أمام آدن فجأة شابًا لم يكن متواجدًا من قبل

يستلقي على جانبه ، شابًا نحيفًا يبدو الشحوب و الندبات على جسده ، لا تظهر معالم وجهه ، مضطجعًا معطيًا ظهره لتلك المرأة التي يبدو أنها لم تره حتى الآن ، يتأوه الشاب و يتثاءب و يفرد ذراعه معلنًا استعداده لأن يتخذ الجانب الأخر متكئًا له ، يفعل ذلك ، تنجذب عيناه لجسد المرأة الممشوق و ملامحها الحادة و ثدييها المتوسطين الحجم ، يُشده الشاب مستغربًا ، أصبحت ملامح هذا الشاب الآن واضحة لآدن....ما هذا ؟ ما هذا ؟

آدن يرى آآآآآدن ، آدن يرى نفسه ، ماااذا ؟ بينما... آدن بالضفة الأخرى... يرى أمه عارية تمامًا ، تزول صوت الطيور بل و تختفي ، تندثر رائحة العطور ، تذبل بعض الرقع الخضراء ، يعتري ما تحت خرقة آدن الحياء و يعلن صمته التام و انسحابه من المشهد ، بينما آدن على الضفة الأخرى يترك اندهاشه و ربما يلعن غباءه و يؤنب ذاته لما رأى و ما كان سعى ليرى و ما كان يريد أن تقع عيناه على مشهد كتلك ، ينزلق آدن بالضفة الأخرى على جانبه الأخر معطيًا ظهره للمرأة الممشوقة أو والدته ، يمعن آدن بالضفة الأخرى في تأنيب نفسه بأن يلصق ركبتيه المثنيتين بصدره بينما يضع كلتا يديه على وجهه يطلب من أحدهم الذي لا يعلمه أن ينحيه بعيدًا و لكن دون أن يلبي أحد النداء ، في تلك الأثناء تدرك المرأة وجود الشاب تنظر له نظرة عطف الأم بينما تتغير ملامح جسدها لتصبح أنثوية أكثر ، ربما صارت أكبر عمرًا لكن بعناية أكثر و سحر له بعد أخر ، تلك هي الشجرة الوحيدة التي حلقت فوقها الطيور بارتفاعات شاهقة و يبدو أنها لا تريد رؤية هذا المشهد العبثي عن قرب ، هنا يدرك آدن ما رآه بالضفة الأخرى و تبلور بذهنه ما حدث من رؤيته لنفسه و لأمه و رؤية آدن الآخر بالضفة الأخرى أيضًا لأمه ، أطلق آدن صرخة مكتومة لكنها مدوية بصورة محدودة لم يعرها أحد انتباهًا ، لا العشاق تحت الأشجار و لا حتى الطيور و لا آدن الأخر ، التفتت له أمه من الضفة

الأخرى ، سمعت صوته لكنها لم تستطع أن تراه أو ربما لا تملك الصلاحية لذلك ، حينها لم يكن بوسع آدن إلا أن يُعجل بالفرار و قد كان قرارًا صائبًا و ربما متأخرًا .

انطلق آدن عدوًا بصورة موازية لضفة النهر غير عابئ بالضفة الأخرى و ما عليها ، أصر على عدم الالتفات نهائيًا حتى صار أبعد ما يكون عن الحدث السابق ، طاوعته ساقاه و بساط الريح الخفي على ذلك ، حتى التفت للوراء و بالفعل لم يجد أثرًا لما كان ، بل لم يجد آدن أثرًا للنهر من الأساس ، ود أن يقنع نفسه أن ما رآه ليس حقيقيًا ، لكنه رآه بالفعل هو متيقن من ذلك جيدًا ، لا شبهة ريب تعتريه ، كما أن الأشخاص الذين رآهم كمن كان يعرفهم جيدًا رغم أنه لم يلتقي بهم من قبل ، علاوة على رؤيته لنفسه و لأمه و..... و يريد حقا أن ينسى أو يتناسى ذلك ، أيهما أقرب .

لا يقلل آدن من سرعته كما لو أن سرعة عَدوه ستُزيل عنه الذكرى ، ينظر للسماء ما زالت الشمس مضيئة جدا و السماء صافية بلونها و السحابة الحنونة تظله ، هل يبدو أن النهار هنا أزلي ، تعود أصوات الطيور و رائحة العطور و يعم اللون الأخضر جميع العشب الورقي و جميع ما كان عليه ذلك ، لا أثر لأي أوراق ذابلة ، يستمر آدن في مقصده نحو الحقيقة أو النجاة ، هو الآن لا يعلم إن كان المقصد و مناه الحقيقي معرفة الحقيقة و ماهية هذا المكان أم النجاة بنفسه و العودة لعالمه و لناني والدته ، هو لا يعلم فيسير عن غير هدى ذاتي و لكن بروية و هداية روحانية داخلية تدفعه لتقفي آثار ما يسقط بطريقه من دلائل كسرب الطيور الذي كان ، الآن و قد توارت السماء أو توارى جزء من ضيائها بشكل غير اعتيادي ، غاب النور عن تلك البقعة نسبيًا ، من المؤكد أن هذا دليل قطعي على علامة و دليل

ما ، لن يدعه آدن حتى يصله و يعي الحقيقة التي ربما كانت سببًا في الخلاص ، يَعرجُ آدن نحو السهل المرتفع يعلو معه و يطفو معه فوق هذه النقطة العليا ، حتى يستطيع أن يرى ما يجعله متمتمًا بفطنته البهية و فراسته الرائعة ، يرى آدن جبلا بعيدًا على مرمي الأفق ، جبلا شاهقًا يبدو و كأنه يتنفس الحياة من حوله شهيقًا و يلفظ من يقترب منه زفيرًا ، يطلق آدن لساقيه و ذراعيه عنان التحدي للوصول لهذا المارد ، تراود خياله بعضًا من الأحداث التي قد تحدث هناك ، ربما وجد وحوشًا أو حيوانات مفترسة أو هوة زمنية أخرى كالتي هو فيها و ربما أعادته لزمنه و عالمه و أخرجته من هذا العالم مجهول الهوية بالنسبة له ، يصل آدن لحافة بداية الجبل ، قرار صعود الجبل ليس بالقرار السهل عليه ، هو لا يعلم ماذا ينتظره ، كما لا يعلم إن كان هناك خلاصًا أم مجرد إضاعة للوقت الغير معروف و سلبًا لأمل راوده ، لم يدم تفكير آدن طويلا فليس هناك ما يمكن أن يخسره ، قرر آدن أن يتسلقه رغم تحذيرات الطيور التي باتت تعزف لحنًا حزينًا يبدو كتحذير له ، كما تلاشت رائحة العطر و كأنها تعلم مسبقًا ما سيحدث فلا طائل من ذلك ، يمكث آدن فترة طويلة حتى يصل لما يقرب من سفحه ، واقع الأمر أن الصعود كان أكثر مرونة و يسر مما كان يعتقد آدن ، ظل يتحرك بحذر غير مرتب بالنسبة له ، تهديه بعض أسراب الطيور لخط سيره ، يهتدي بها ، يصل لأكوام من الصخور التي برزت بقلب اللون الأخضر أو ربما نبتت الخضرة عليها ، يدنو منها و تبدو الصخور كضعف طوله على امتداد أفقي ليس بقليل ، لكنه و على حسب هداية الطيور يدرك أنه على مقربة مما يريد و على مقربة من الخلاص ، وجد من بين الصخور ملجأ للنظر و ربما للمرور بينها ، و قد فعل و ألقى ببصره ليرى شيئًا أغرب من الخيال .

ساحة كبيرة تتوسطها فتاة حسناء ، أدرك جمالها من الوهلة الأولى التي لم تدم طويلا ، فقد شعر آدن بصوت خلفه مباشرة مما جعله يلتفت و قد ساوره الشك

باقتراب أجله ، وجد آدن رجلا ضخمًا قبيح الوجه شبه مطموس الملامح يمر أمامه ، أدرك آدن أنه مقضي عليه ، اقترب الرجل الضخم و قد عبر آدن كمن لم يره ، كيف ذلك و آدن أمامه مباشرة في العراء ، هل هذه مكيدة و سيعود إليه لينهي هذا الكابوس الذي بدأ جميلا ، لا ، لقد رحل هذا الرجل الضخم ، كيف هذا ؟؟؟؟ لم يشغل آدن باله كثيرًا بما حدث و ما سيحدث ، هدفه الآن هو الحقيقة ، من هذه الفتاة ؟؟؟ و لماذا تجلس هكذا كالأسيرة ؟؟؟

و من هؤلاء الرجال ؟؟؟ فقد رأى أكثر من رجل على مقربة منه حينما بدأ التحرك ، نفس الملامح و نفس الوجه الشبه مطموس و نفس ضخامة الجسد ، و كلهم لا يستطيعون رؤيته ، هل صار آدن مخفيًا ؟؟؟

هل أصبح في عالم أخر لا يستطيع أحد أن يراه ؟؟؟

حاول الاقتراب من الساحة التي تجلس بها الفتاة ، يريد آدن أن يغزو ملامحها أو قد يريد أن يعانق أنفاسها ، كل هؤلاء الرجال و الذين يبدون كحراس لم يستطيعوا أن يروه فبطبيعة الحال لن تره هذه الفتاة الحسناء ، فليقترب أكثر حتى يُملّي عينيه و روحه من جمالها الفتان ، اقترب أكثر و أكثر ، رأى ما يشبه الهالة التي دخل منها لهذا العالم و لكنها بشكل دائري حول الفتاة عن بعد ، و لونها لم يكن أبيضًا كوهج الهالة النوراني فقد كان أقرب ما يكون للون الأحمر و لم يكن سوى خيوط عريضة جدًا على مقربة من سطح الأرض ، تردد آدن أن يعبرها فقد تكون فخًا له ، و بعد فترة أيقن أنه طالما لم يحدث له مكروه حتى الآن فلن يحدث ، و طالما لم يره الحراس الحمقى فلن يشعر به أحد ، عبر آدن السياج الحارس حول الفتاة و تقدم إليها و كانت شبه نائمة تجلس القرفصاء على الأرض ترتكز بذقنها على يديها المستندتين بالتبعية على ركبتيها ، رآها من جانب وجهها ، التف ليقف بمواجهتها ،

فتاة حسناء جميلة ، ببشرة بيضاء تخالطها الحمرة المثيرة الجذابة و ليست المنفرة ، وجه يبدو ملائكيًا لم يره من قبل و لم يسمع عن أحد قد رآه ، ربما تلك الكلمات لا تفيها حقها ، فهي ساحرة الجمال ، شعر أحمر داكن ، شفاه صغيرة لا يقل لونها احمرارا عن لون شعرها ، أنف صغيرة تستحي الظهور ، رقبة طويلة ، جسد يبدو حتى من جلستها أنه ممشوق القوام و لكن بلا تهوين من معالمها الأنثوية التي كانت مسيطرة على المشهد ، فستانها الأبيض القصير الضيق الشفاف يبرز نهدين تحتار العين في وصفهما ، هل هما صغيرين أم متوسطين أم كبيرين و لكن ما لا يحير أنهما على قدر من المرمرية و المرونة كبير و في نفس الوقت لا يقلان انتصابًا عن أي أميرة حسناء في الأساطير الإغريقية و الرومانية و الفرعونية ، حقا هي معادلة نهدية صعبة و لكنها حدثت ، يظل آدن مشدوهًا حتى تستفق الفتاة و توشك أن تصرخ ، فما كان من آدن إلا أن وضع يده على فمها مستغربًا من رؤيتها له .

آدن : من أنتِ ؟ و هل تريننني ؟ أرجوكِ لا تصرخي فأنا حقا لا أنوي لكِ شرًا .

الفتاة (تنظر إليه و كأنه سأل سؤالا غريبًا ، تتحدث بصوت خافت ناعم جذاب) : حقا لا تعلم من أنا؟

آدن : نعم لا أعلم ، و إن كنت أعلم ما كنت لأسأل .

الفتاة (تقف على قدميها ليبدو شعرها الأحمر و قد تداعى ليداعب أخر ظهرها فتتحدث إليه بنبرة قلت حدة استغرابها) : أنا ماهيجاي ابنة فاضل الهلباوي عضو مجلس العالم السامي الأعظم .

آدن : من ؟ لا أعلم أن هناك من بهذا الاسم في المجلس .

ماهيجاي : حقا !!! أشهر و أقدم رجل بالمجلس لا تعرفه !!! كيف ذلك ؟

آدن : أصدقك القول أنا لا أعرفه كما أنني لا أعرف هذا المكان و لا لماذا أنا هنا و لا لماذا أنتِ هنا أيضًا ،و لا أعرف كيف تستطيعين رؤيتي و لا يستطيع الحرس ذلك .

ماهيجاي : أين ملابسك ؟ لهجتك تبدو غريبة ، أنت من أي منطقة ؟ و كيف لا تعرف والدي أو تعرفني ؟ و كيف لم يتعرف الحراس على طاقتك .

آدن : طاقتي !!! ماذا تقصدين بـــ طاقتي ؟

ماهيجاي : حقا لا تعرف (تضحك باستغراب) ، هل أنت فاقد للذاكرة أم ثمل أم ماذا ؟

آدن : أنا خرجت من تطبيق السجن prison app لأجد نفسي هنا .

ماهيجاي (ضاحكة) :تطبيق السجن !تبدو قديمًا جدًا ، هذا تطبيق انتهى منذ زمن ، تقريبًا منذ 2100

آدن : 2100 !!!!! ماذا !!!!! هذا عجيب !!! هل نحن تخطينا 2100 ؟؟؟؟

ماهيجاي : نعم ، نحن بعام 2150 ، هل أنت فاقد للزمن !!!!

آدن : نعم بالفعل فاقد للزمن ، لقد خرجت من تطبيق السجن عام 2070 ، بمعنى أنه مضى ما يقرب من ثمانين عامًا (يبدو مندهشًا و قد يكون غير مصدقًا لها).

ماهيجاي (باستغراب و تأثر) : ما هذا الذي تتحدث عنه !!! هذا غير معقول !!! (صمتت برهة حتى تدرك ما يحدث) حقا فلهجتك غريبة و أسلوبك غريب و يبدو قديمًا ، و لكنه إن كان صحيحًا ما حدثتني به فسيبدو منطقيًا أن لا يعترض الحراس طاقتك ، فالتعرف على طاقة الإنسان و تحديد هويته بها عُرف منذ ما يقرب من خمسين عامًا من الآن ، بمعنى أنه لم يتم مسح لطاقتك حتى الآن ، لا يوجد الآن هويات كما كان بالماضي ، الآن يُعرف الشخص بطاقته ، الإنسان لدينا عبارة عن طاقة و جادليون ، و إن كانوا اعترضوك لكانوا أحرقوا طاقتك لتؤول للعدم فورًا ، و لكن من أنت ؟ أريد أن أعرف عنك الكثير ، و لماذا لا ترتدي شيئًا ؟

آدن : يبدو و أن الحراس سيلاحظوننا .

ماهيجاي : لا لا ، لا تخشى ذلك ، هم يتعرفون على الطاقة فقط ، لا يسمعون و لا يتكلمون ، هم مبرمجون على مهام معينة و هي حراستي عبر طاقتي ، و اعتراض أي طاقة تخترق المكان أو تحاول ذلك و يقومون بإحراق طاقته فورًا .

آدن : من هؤلاء ؟ و لماذا اختطفوكِ ؟

ماهيجاي : هؤلاء أتباع (راكيز) ، راكيز هذا من أصول غير سامية لكنه استطاع في فترة من الفترات أن يثبت ولاءه للعالم السامي و قدم أكثر من اختراع تكنولوجي يفيدنا فتقلد مناصب عليا و كان على مقربة من مجلس العالم السامي الأعظم ، لكنه رجل غير صالح ، اتضح بعد فترة أنه يتعاون و يتواطأ مع أحد الكواكب الخارجية (كوكب قبيز) فتم فصله من عمله و مطاردته و بدأ نشوب خلافًا حادًا بينه و بين صُناع القرار بالمجلس السامي الأعظم .

آدن : كواكب خارجية !!!

ماهيجاي : نعم ، منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا و قد فُتحت أبواب تفاوضية بين مجلس العالم السامي بصفته الأعظم و الأكثر تقدمًا على كوكب الأرض و بين أكثر من كوكب و أهمها كوكب قبيز ، يحاولون اجتذاب و إغواء رجال مجلس العالم السامي الأعظم بحجة الشراكة بين الأرض و كواكبهم ، و لكننا نعي جيدًا مآربهم التي تتمحور حول غزو كوكبنا بعد أن يقلدوا أنفسهم في مواقع السلطة و اتخاذ القرارات الهامة و الاستراتيجية ، ثم سيبدأون بإبادتنا أو تسخيرنا تحت أمرتهم .

آدن : و كيف اختطفوكِ ؟ و لماذا ؟

ماهيجاي : اختطافي كان عن طريق تقنية عالية جدًا ، يبدو و أن راكيز قد استقطبها من أحد أعوانه بالقيادات الأمنية و البحثية العليا بكوكب قبيز ، تتركز حول العبث بإحداثيات الطاقة الخاصة بي و من ثم خروجها من نطاق المراقبة و التحكم و الحماية العليا التي تأتي من قبل مجلس الأمن السامي ، أما لماذا اختطفوني ، فراكيز منذ فترة طويلة يحاول إغواء والدي بالعمل معه لمصلحة كوكب قبيز ، و لكن والدي أمره بالخروج من العالم السامي للأبد و إلا سيواجه متاعب لا أول لها من آخر ، لم ييأس راكيز و اختفى فترة طويلة ثم عاد ليهدد والدي مرة أخرى بأن يسلمه إحداثيات أسلحة الدفاع الكوكبي الحديثة و التي ما زالت كفيلة بأن تمنع أية هجمات محتملة من جانب كوكب قبيز أو أي كوكب أخر ، و هو ما رفض والدي الرضوخ له ، و بناءً عليه قام راكيز باختطافي و احتجازي في هذا المكان الذي لا أعلم أين هو ، و هدد والدي عن بُعد بأن يرسل له إحداثيات أسلحة الدفاع الكوكبي و إلا سيحرق طاقتي ، و يبدو أنه الآن وسط حلفائه بكوكب قبيز .

آدن : تقصدين أنه سيقتلك ؟

ماهيجاي : نعم

آدن : هذا لن يحدث إطلاقًا ، فلن أدعهم يفعلون ذلك أبدًا.

ماهيجاي (ضاحكة تبرز غمازتين بوجنتيها) : و كيف ستفعل ذلك ؟ هل ستعود لعالمك و زمنك و تجلب أسلحة لمقاومتهم لم نخترعها نحن الآن بعد ثمانين عامًا .

آدن : و لكنني سأفكر ماذا سأفعل ، لدينا الوقت الكافِ لذلك .

ماهيجاي : و لكن أخبرني عن حكايتك و ماذا أتى بك إلى هنا ؟ و لماذا ترتدي هكذا ؟ أقصد لماذا لا ترتدي شيئًا (ضاحكة) ؟

آدن (و قد قص عليها كل ما سبق مستهلا ذلك برحلته مع التطبيقات المتقدمة التي كانت سببًا في دماره و ربما ستكون سببًا في سعادته ، مرورًا بالحاجز الزجاجي للتطبيق حتى تعطل الساعة الميقاتية فسُباته ثم استيقاظه بعد فترة ليجد نفسه في هذا العالم الغريب ، كما قصَّ لها ما رآه عبر النهر حتى وصل إليها) ، أما لماذا لا أرتدي شيئًا فأنا بواقع الأمر لا أعرف السبب ، أنا استيقظت و وجدت نفسي هكذا !!!! (يضع يده أعلى خرقته ليواري ما تحتها و الذي يبدو عليه أنه قد بدأ المراوغة) .

ماهيجاي : هذه حقا قصة مثيرة بل و مسلية جدًا .

آدن : مسلية !!! أنا لا أعرف كيف سأعود لعالمي و لأمي و أنتِ تصفيها أنها قصة مسلية .

ماهيجاي : أقصد أنني لم أسمع بمثلها من قبل ، حدثٌ فريد بمعنى الكلمة ، تقنيات الرؤية عن بعد المتطورة متواجدة منذ زمن ، تستطيع أن ترى من بمكان آخر رؤى العين أمامك بمنتهى السهولة و لكن أن ترى من بزمن آخر !! فهذا يبدو اختراع جديد و لكنه هائل (تستمر ابتسامتها الساحرة ترافقها غمازتاها الجريئتان و عينان تصدران حيوية و جمال و نشوة و فرحة طفولية و كأنما هي بنزهة في حديقة قصرها أو بخلوة مع حبيب و ليس بانتظار مصير قد يؤول بها للعدم) .

آدن (قاطبًا حاجبيه بابتسامة لم ينجح في إخفائها بعد أن منح رأسه حرية الإيماء بالإيجاب قليلا) : نعم هائل ، أدركت مدى روعته حينما قابلتك ، لا أخفيكِ سرًا إن لم أخرج من هذا العالم سوى بذكرى ابتساماتك و نظراتك و أحرفك الرقيقة الناعمة فأنا قد ربحت الكثير .

.... تشيح ماهيجاي بوجهها ناحية اليمين قليلا و كأنما لا تريد آدن أن يلمح حُمرة وجهها الذي كان يكسوه حُمرة الجمال من قبل ، و لكن الآن صارت حُمرة الحياء هي المسيطرة على صفحة وجهها المثير ، المدهش في الأمر أن عصر كهذا تسيطر فيه التكنولوجيا المتقدمة جدا على كل مجريات الأمور و هناك حرب كواكب متوقعة في الأفق و تصاب فتاة كهذه بالحياء و الخجل من مجرد كلمة مجاملة أو غزل ، و لكن لا عجب في ذلك فافتقاد الشيء لا يعني بالضرورة انعدام الحاجة إليه ، بل أنه يعني تبدل الأولويات في أوقات ما و تفضيل إحداها على الآخر و لكن عندما تحين لأحدهم الفرصة لاكتشاف ما قد تمت التضحية به من بنود فأنه بالتأكيد سيغتنم تلك الفرصة بلا أدنى شك .

ماهيجاي (تقترب للأمام خطوة فيكاد أن يلتصقا نهداها بصدر آدن) : من يعلم ؟ فقد أكون أنا الرابحة ، و من يدري ؟ من الممكن أن لا تعود لعالمك و تبقى هنا ، لا أحد يعلم ما سيحدث .

آدن (بدأ يتعرق لأول مرة منذ هبط بهذا العالم و هو ما أثار استغرابه فيما بعد ، فهو الآن مُثار بطريقة أخرى و محرجًا بطريقة أشد ، فكيفما كاد نهداها أن يلمسا صدره فأيضًا ما تحت خرقته أصر على الإصغاء للحديث بينهما و صار مشدوهًا يدنو من الفستان الأبيض يريد أن يعي ماهيته أو بالأحرى ماهية ما خلفه) : أبقى هنا أو هناك ، ما أريده حقا أن .....

ماهيجاي : أن .... ماذا ؟؟؟؟

آدن : أن يبقى معي أجمل أثر لهذا العالم ، أجمل ما رأيت بكل العوالم المختلفة ، ما أريده حقا أن .... أن تبقي معي .

ماهيجاي (تتنهد بشهقة غريزية و تواري عينيها بجفنيها بصورة لا إرادية كي لا يرى آدن لمعتهما ، ثم تزفر أملا مصحوبًا بابتسامة يسودها الحياء و تنهر عيناها ما فوقهما لتنطلقا بلمعتهما صوب عناق عيني آدن ، تتباعد شفاهها قليلا معلنة استعدادًا لجولة من القبلات الحميمة التي لن تغفر لها إن لم تفعل) لتقول لآدن : و أنا أيضًا أريد أن أبقى معك .

آدن (و قد أعلنت شفاهه استعدادًا لتوقيع معاهدة عشق لم يعهدها أو يآلفها من قبل بل و ربما أراد توقيعها منذ البداية)

.... بينما تقترب شفاههما تزداد نبضات قلبيهما بشدة و ينبض ما تحت خرقة آدن بشدة و تعجُل لتوبخه الخرقة أو ربما أجهزة الاستشعار الحسية لدى آدن لتخبره بأن ما يحدث ليس غريزيًا بحتًا و لكنه شيء ما أقرب للرومانسية الحالمة ، تلك الكلمة التي فقدت معناها بصورة كبيرة و ضلت طريقها لمسامع البشر ، سيأتي دورك و لكن ليس الآن ، تمهل و كن مستعدًا و لكن باحترام و استئذان و قبول لمبدأ ترتيب الأولويات ، يعتصر صدر آدن نهدي ماهيجاي بينما تبدأ شفاههما قبلة مطولة ، ينهل كل منهما من رحيق كرز الآخر ، ينهل ترياقًا طالما بحث عنه و يبدو كأنه ترياق الخلود ، يختلط رحيقهما و كرزهما و يتبادلا الولوج لعالم الأخر ، يدلف آدن لبستان ماهيجاي الذي يحوي ما لم يره آدن أو يسمع أو يشعر به طيلة عمره من دفء و سحر و رونق زاهي من الجمال الذي يتخطى بكثير ما رآه من سحر طبيعي خلاب بهذا العالم ، و يبدو أن كل ما حاق به من أصوات الطيور و ألوانها البهية و العطر الفواح المثير و الخضرة و الزرع البديع قد أُختزل كله في قبلة من شفاه قد خُلقت من أجل تلك اللحظة ، تلتف ذراعا كل منهما خلف الآخر .

تغمض ماهيجاي عينيها ، تطلق لذاتها حرية الانصياع خلف من راود قلبها و عانق روحها و منحها الحب و الأمان و الطمأنينة .

لا يعكر صفو قبلتهما سوى صافرة تحذيرية و يبدو أنها قد أطلقت منذ بداية القبلة أو بالأحرى منذ بداية لمس آدن لماهيجاي ، يلتفتا آدن و ماهيجاي و قد تداركا أخيرًا ما يحدث من صافرة تحذيرية و توهج متقطع للهالة النورانية الحمراء المحيطة بهما ، تنقطع القبلة و لا يبعد جسداهما عن بعضهما البعض ، تنظر ماهيجاي باهتمام و مبالاة أكثر من آدن .

آدن : ما هذا ؟؟

ماهيجاي (تشير له للوحة فراغية تحذيرية مكتوب عليها ... فقد الهدف ....) : لقد اختفت إحداثيات طاقتي بتحكمهم .

آدن : ماذا يعني ذلك ؟

ماهيجاي : لقد طمسوا إحداثيات طاقتي بصورة تامة عندما اختطفوني و قد قاموا بتفعيل إحداثيات طاقة مؤقتة ليتمكنوا من مراقبتي عن بعد و يتمكن الحراس أيضًا من ذلك ، أما الآن فتلك الإحداثيات قد فُقدت (و قد بدأ الحراس في الهرج و المرج من خلف السياج النوراني) .

آدن : لماذا ؟

ماهيجاي (و قد ابتعدت قليلا عن آدن و حررت تلامسهما فتحولت اللوحة الفراغية التحذيرية لعبارة .... تمت السيطرة على الهدف .....) : لقد فهمت الآن .

ثم أعادت لمسه من جديد لتعلن اللوحة عن (فقد الهدف) ثم أعادت الكَرَّة بالبعد عنه فكانت عبارة (تمت السيطرة على الهدف) .

آدن : ماذا يحدث ؟؟؟ ما السر ؟؟؟

ماهيجاي : أنت السر .

آدن : كيف ؟

ماهيجاي : أنت من عالم غير عالمنا ، بطاقة غير مسجلة و إحداثيات غير معلومة ، عندما تلمسني تُفقَد طاقتي منهم و أتحول لعالمك الغير مثبت الطاقة بعد ، لا أعي جيدا تقنيات ما يحدث و لكنها الدلائل تشير لذلك .

آدن : معنى ذلك أنكِ على موعد مع النجاة الآن .

ماهيجاي : كيف ؟

آدن (أمسك بيدها و قد سار مصطحبًا إياها للخروج من السياج الحارس).

ماهيجاي : نعم .... نعم ..... قد يحدث ذلك (باغتته بقبلة سريعة توهجت فيها مقلتا آدن ، و سارا نحو السياج) يعبران بحرص شديد دون أي خطب يحدث لهما ، و ذلك مع استمرار صافرات التحذير و استمرار لوحة التحذير الفراغية في الإعلان عن فقد الهدف ، يستمر الحراس في الهرج و المرج ، لا يدركون ما يحدث ، هم لا يرون و لا يسمعون شيئًا ، هم فقط يستشعرون الطاقة المبرمجة لديهم ، طاقة الهدف و طاقة الشخص الغريب و أية طاقة مسجلة على عقولهم .

آدن : علينا أن نسرع بالهبوط من هذا الجبل .

ماهيجاي : و من ثَمَّ ؟

آدن : لا أعلم ، على الأقل نبتعد نسبيًا عن الخطر و عن احتمالية اللحاق بنا .

يستمرا في السير بل و القفز أحيانًا ، يداهما لا تفترقان ربما خوفًا على بعضهما البعض و حرصًا على عدم ضياع لحظة غرام و عشق لم يسمعا عنها من قبل أكثر من حرصهما على استمرار حالة فقد طاقتها لديهم ، يساعدها على الهبوط تارة باستنادها على كتفه و تارة أخرى بأن يحملها ليصلا لأسفل قليلا فيمران بصخرة أو انعراج ما ، الغريب أن نحافة جسده لم تمنعه من حملها مرات عديدة بل كانت أشبه بريشة تهبط على وجه أحدهم فيلتقطها بيده .

ماهيجاي : هم فقدوا إحداثيات طاقتي المؤقتة ، و لكن .....

آدن : و لكن ماذا ؟

ماهيجاي : و لكن هم يمتلكون مراقبة كونية من كواكبهم الأخرى ، يمتلكون مراقبة دقيقة لكل شيء للتضاريس من جبال و سهول و أنهار علاوة على مراقبتهم لكل ما يحدث بتصوير دقيق جدا .

آدن : ماذا يعني ذلك ؟

ماهيجاي : يعني أنهم سيضطرون للمراقبة الذاتية غير الآلية عبر مراقبون سيفحصون كاميراتهم الكوكبية المسلطة على الأرض و على هذه البقعة تحديدًا .

آدن : لقد فهمت ، سنجد حلا.

تنظر له ماهيجاي بإعجاب من تفاؤله و زهوًا بجرأته و خوفه عليها ، لا يخلو ذلك من ابتسامتها الساحرة و غمازتيها المبهجتين بينما يسيران بسرعة شديدة تكاد تصل للعدو ، يهبطان لأسفل الجبل و ينطلقان عن غير هداية أو ترتيب أو تخطيط للفرار من رجال راكيز ، لا ينظران خلفهما ، يعدوان برشاقة و خفة منقطعة النظير ، يعيد آدن كل فترة تهيئة خرقته كي لا تسقط ، بينما تضطر ماهيجاي أن تزيح شعرها الأحمر الحريري عن وجهها و عينيها بيدها لتعيده مرة أخرى للوراء ، تخلع حذاءها الأملس المريح و الذي يعينها على العدو و الانطلاق كي تكن مثل آدن في عدم ارتدائه لحذاء و مع ذلك يعدو بوثبات رشيقة غير عابئ أو مكترث بقدميه الحافيتين ، و قد فعلتْ و ساعدتها الأراضي الممهدة على عدم الندم لقرارها ، سعت بنظرها لآدن تفحصته جيدا و أمعنت كونه غير مرتديًا لملابس ، أدركت ما يرمي

إليه عقلها لكنها ضحكت مستنكرة ذلك ، بل و نهرته كطفلة ترفض قطعة حلوى من أحدهم إرضاءً لوالديها اللذين أخبراها أنها ضارة بأسنانها و صحتها ، بينما في الواقع هي تعشق الحلوى و تشتاق لطعمها السكري .

يدور آدن بنظره إليها كل حين و أخرى ليطمئن على سهولة و راحة عدوها و عدم تضررها أو تأذيها من شيء ، يداعبه شعرها الأحمر الحريري أحيانًا حينما يلامس ذراعه أو وجهه أو صدره أو ظهره فينعش و يعيد الحيوية و النشاط و التحفز لذلك الجزء الذي نال حظه من الحياة ، شعرها الذي يتطاير يمينًا و يسارًا بل بكل الاتجاهات محدثًا تنوعًا عادلا للأجواء ، يلتصق فستانها الأبيض الشفاف الضيق القصير بجسدها أكثر ما كان ملتصقًا ، يشفق على نهديها و قد رآهما يتشاكسان مع علوية الفستان و كأنما يريدان التحرر و الانطلاق من قيد دام طويلا ، تمنى لو أمكنه فك قيد أسرهما ، لا تفارق الابتسامة الجميلة البريئة وجه ماهيجاي ، بينما لا يفارق الحرص و الخوف عليها وجه آدن ، يتبادلان النظرات و في هذه اللحظة تنزلق إحدى قدمي ماهيجاي في صخرة صغيرة فتسقط أرضًا و تترك يد آدن ، ينظر لها آدن مستلقيًا على ركبتيه بجوارها ليطمئن عليها ، و لكنهما نسوّا أن بذلك تمت إعادة رؤية إحداثيتها و التعرف على مكانها من قبل رجال راكيز ، بضع ثوان بتوقيت العالم الطبيعي حتى شاهدا السماء و قد شابها اللون الأحمر و هذا نذير بسيطرة محدودة من عناصر آلية مكوكية تابعة لكوكب قبيز على تلك الأنحاء ، تلك الآليات التي كانت بطبيعة الحال ضمن التحصينات الأمنية بالجبل ، أدركت ماهيجاي ما اقترفاه من نسيان ، قفزت من جلستها واقفة بعد أن أمسكت بيد آدن و وقف معها ، لون السماء لم يتغير من الحُمرة ، بالطبع رجال راكيز أدركوا أن الهدف هنا ، احتميا وسط بضع أشجار وارفة عملاقة يفكران ماذا سيفعلان و هل

ستُكتب لهما النجاة أم لا و ..... نظر آدن حوله و هلل فرحًا متشدقًا بالحيلة التي داهمت عقله ، لم تعرف ماهيجاي بماذا يفكر ، احتضنها آدن بروية و هدوء و ....

آدن : لقد وجدتها ؟

ماهيجاي : اي شيء قد وجدت ؟

آدن : بداية الخلاص

ماهيجاي : ماذا تعني ؟ لا أفهم شيئًا .

أشار لها على شجرة بأوراق عملاقة جدا و سارا نحوها ، و على ما يبدو أن ماهيجاي لم تدرك حتى الآن ماذا يعني ...

التقط آدن بضع أوراق عملاقة من الشجرة و هو متشبثًا بيد ماهيجاي حتى لا يتكرر الخطأ السابق ، بدأ يلف جسده بتلك الأوراق و وضع على رأسه منها و ثبتها قدر المستطاع ، هنا ضحكت ماهيجاي ....

ماهيجاي : الآن قد أدركت ما ترمي إليه ، فكرة ذكية ، هم بالطبع سيبحثون عنا الآن بطريقة غير آلية ، و أنت تريد أن نراوغهم و نتوارى عن مراقبتهم بأن نتشبه بالأشجار و الخضرة المحيطة و بذلك لن يمكنهم العثور علينا .

آدن : بالطبع هذا ما أردت ، و الآن عليكِ أن تفعلي مثلما فعلت .

ماهيجاي : نعم سأفعل و لكن فستاني الأبيض سيكون عاكسًا من تحت الأوراق الخضراء ..... أدر وجهك من فضلك . ...

أدار آدن وجهه دون أن يترك يدها ، فخلعت ماهيجاي فستانها الأبيض و حينما أرادت أن تزيحه عن يدها التي يمسكها آدن أقدمت على ملامسة ساقه بساقها من الخلف مسبقًا ، فأدرك ذلك آدن و ترك يدها ، صنعت ماهيجاي من الأوراق رداءً لا يقل جمالا عن فستانها السابق التي ألقته خلفها ، و سارت مع آدن لاستكمال طريقهما الذي لا يعرفاه و الذي ما زال مبهمًا ، هو طريق للخلاص و لكن كيف ؟

كيف سيخرجان من تلك المتاهة و لأين ؟

هل سيبحثان عن طريق يؤدي لبيت ماهيجاي و لوالدها ؟

هل سيبحثان عن طريق يؤدي للمجلس الأعظم ؟

هل سيبحثان عن العالم الذي أتى منه آدن و هل سيرحلان سويًا إليه ؟

أسئلة كثيرة لا يملكان الإجابة عنها حاليًا و لكن هما في سبيل الفرار من رجال راكيز و هو الشيء الأهم أما بعد ذلك فليس هناك خطر يداهمهما .

آدن : هناك شيء عجيب أريد أن أفهمه .

ماهيجاي : ماذا ؟

آدن : كل تلك الأحداث و النهار كما هو و الليل يأبى الظهور ، لماذا ؟

ماهيجاي : لا أعلم عما تتحدث ، لقد أتى عليّ و أنا هنا أكثر من ليل بصورة اعتيادية جدا و لكنني لاحظت بالفعل أن النهار هذا اليوم قد طال أمده قليلا ، ربما منذ ظهورك و وضع السماء لا يتغير كما أن أشعة الشمس كما لو أنها حُجبت ، لم

أُعر ذلك انتباها إلا الآن و من الممكن أن يكون تغييرا مناخيا أو ما شابه أحدثته إحدى الاتفاقات .

آدن : هناك شيء أخر ، لماذا لا أشعر بجوع أو عطش ، كما أنه ليس لدي أي رغبة في تناول الطعام أو شرب الماء أو أي مشروبات .

ماهيجاي : أيضًا لا أعلم ، ربما أنا الآن أمر بمثل تلك الحالة التي تصفها ، و لكن قبل أن تظهر كنت أتناول طعامي و شرابي من الحراس بشكل طبيعي و بأوقات محددة دون أي خلل في ذلك ، هناك خطبٌ ما لا نستطيع أن ندركه .

آدن : بالفعل هذا ما أقصد و علينا أن نفهم أو علينا أن ننجو ثم نفهم .

تزداد حُمرة السماء بينما ما زال آدن و ماهيجاي يسيران عدوا أو يعدوان سيرا بلا توقف أو تعب يذكر ، عادت أصوات الطيور المغردة لتصدح مجددا و كانت قد توقفت منذ صعود آدن للجبل ، أنه إذًا فأل حسن ، كما بدأت رائحة العطور في اقتحام أنفهما تدريجيا حتى أصبحا مفعمين بنشوة و إثارة محببة .

ظهرت إحدى الآليات المكوكية في السماء المكسوة باللون الأحمر ، بدأت تحوم ذهابًا و إيابًا عن غير هدى ، يبدو جليًا على تلك الآلية أنها لا تراهما ، تحفزا آدن و ماهيجاي و تشبثا بما حولهما من أوراق حتى لا يُفضح أمرهما و من ثَمَّ سيكون الهلاك المؤكد ، سارا بصورة أقل سرعة حتى يتحسبان الخطوات و حتى لا تعاد كرّة السقوط أيضًا ، لاحظ آدن على ماهيجاي لحظة قلق و ترقب و توتر فسارع باحتضانها و تقبيلها و أخبرها أنهما سينجوان ليس فقط لأنهما يرغبان بالنجاة كأي إنسان طبيعي على حافة الهاوية و لكن لكي يستمرا معا حتى نهاية عمرهما .

لفت نظر آدن ظهور النهر عن بعد ، النهر الذي رأى فيه كل ما رآه و لم يفهمه ، و أراد أن يُذكّر ماهيجاي مرة أخرى بما رأى ، أصغت إليه و اندهشت و تعجبت مثله تمامًا .

ماهيجاي : و لكن من هؤلاء ؟ و كيف أتوا إلى هنا ؟ و لماذا لا يروا بعضهم البعض ؟ و كيف رأيت نفسك أو رأيت من يشبهك ؟ و كيف رأيت والدتك ؟ أنها حقا أمور معقدة و لغز لا بد من الإجابة عليه و فك طلاسمه و قد يكون في ذلك الخلاص .

آدن : هناك بالفعل شعور قوي أن فك طلاسم النهر و معرفة سر من عليه من أناس سيكون طريق الخلاص لي و لكِ .

ماهيجاي : كيف لي أنا أيضًا ؟

آدن : لأن طريقنا واحد و لابد أن يكون أيضًا مصيرنا واحد .

أوشكا آدن و ماهيجاي على الوصول للنهر ، هما لا يعلما ما علاقة وصولهما للنهر بالخلاص و لكنهما شعرا بذلك و شعرا أن هناك ما ينتظرهما ، في تلك الأثناء لاحت في السماء أكثر من آلية مكوكية تحوم بشكل مخيف ينذر بأن هناك جديد لديهم و بأن أمرهما من الممكن أن يكون قد فُضح ، و قد زادت السماء حُمرة عن ذي قبل ، بينما خفت صوت الطيور و أصبح مذبذبًا مترددًا و صار تغريده على استحياء ، و بدأت رائحة العطور تتلاشى أو أوشكت على ذلك ، ظهر سرب الطيور البيضاء من جديد فوق صفحة النهر التي قد وصل ضفتها الآن كلا من آدن و ماهيجاي ، وقفا يلتقطا أنفاسهما التي لم تُرهق بعد ، نشدا لحظة سكون لإعادة ترتيب أفكارهما لما سيحدث فيما بعد ، نظرا عن بعد للجانب الآخر من النهر

فوجدا ما لم يتوقعاه و ما لم ينتظراه ، استقرت نظراتهما محدقة في ذلك ، من رآهم آدن من قبل بنفس المكان من الضفة الأخرى للنهر تقريبًا رآهم من جديد و لكن هذه المرة لم يرهم بمفرده بل رأتهم ماهيجاي أيضًا، جميع من رآهم موجودون بلا انتقاص ، حتى الشخصان الشبحان فوق الشجرة موجودان معهم ، الشاب آدن (بالضفة الأخرى) موجود مع والدته ، الجميع موجود ، الجميع حاضر و لكن ....

الوضع مختلف ، يبدو أن جميعهم يرى الأخر ، يجلسون سويًا ، يتسامرون و يضحكون ، يتبادلون النظرات و الحوارات بلا تمييز بين أحد و أخر ، الجميع بنفس الوضعية التي سبق أن رآهم عليها ، يرتدي الجميع ما يواري عورته السفلى ، و الجميع بصدور عارية رجال و نساء ، لا يبدو على أحدهم توجس أو خوف أو ريبة أو حزن أو ترقب لحدث ما ، الجميع بحالة مستقرة ، يعتليهم الرضا و السعادة و الانتشاء .

يعيد آدن على مسامع ماهيجاي ما رآه من كل زوجين في المرة السابقة مشيرًا إليهما ، و كأنما يريد أن لا يفوتها مشهدًا أو أخر من حكايته قبل أن يراها ، تستند ماهيجاي على صدر آدن برأسها تستحضر من نبضات قلبه الأمان و تستعيد الثقة و الطمأنينة ، يسعدا برؤيتهم بلا سبب واضح ، تظهر عليهما أيضًا علامات الارتياح و الرضا و الإعجاب بما يروا ، يلوحان لهم من بعيد ، يتعالا صوتهما بالصياح ، يقفزا ليثيرا انتباههم و لكن بلا فائدة مرجوة ، من بالضفة الأخرى لا يسمعونهما ، لا يرونهما ، لا يشعرون بهما من الأساس ، يزيدا آدن و ماهيجاي في قفزاتهما للمرة الأخيرة ، يزيدا القفز أكثر و أكثر حتى ....

حتى يسقط ما يواريهما من ورق الأشجار و الذي كان يقيهما مراقبة و بحث الآليات المكوكية لرجال راكيز ، يصبح آدن بلا ملابس مثلما ظهر بالبداية إلا من

الخرقة التي كانت تواري عورته ، أما ماهيجاي فأصبحت أيضًا مثله عارية تمامًا إلا من ورقة شجر تواري عورتها السفلى و يبدو أنها مثبتة بإحكام ، ينظر آدن لـ ماهيجاي ، ينظر لعينيها الزرقاوين و قد صارت مشدوهة إليه يعتليها الخوف و الترقب ، ينظر لشعرها الذي صار يتطاير و يلتف حولها و بات يشاكس عينيها و شفاهها و نهديها بنهم عن عشق و رغبة ، ينظر آدن لجسدها الأبيض الرشيق ذو الوهج الأحمر المثير ، يباغت عينيها بنظرة تكفي و تغني عن ألف كلمة ، نظرة تقول لا تخشي شيئًا فلن يستطيع أحد أن يفرق بيننا و لن تفرقنا العوالم المختلفة و إن كان هناك عالم أخر سيكون عالم يجمعنا سويًا حتى و إن كان ليس بعالمي أو عالمك ، سيكون عالم خُلق لنا سهوًا أو خلقناه عمدًا ...

في لحظة سقوط ما يواريهما يلتفت إليهما الجمع بالضفة الأخرى ، ينبهرون بهما ، يصيحون عليهما ، يلوحون لهما بإيماءات مطمئنة ، يطلبون منهما بإشارات صريحة و مُلحة أن يعبرا النهر للضفة الأخرى ، أن يعبرا إليهما ، في تلك الآونة تزداد السماء حُمرة شديدة ، تزداد المكوكات الآلية تحليقًا ، يعجزان عن التقاط الأوراق التي سقطت ، لا تملك أناملهم التقاطها ، تتطاير الأوراق بسرعة شديدة ليبتلعها النهر و تُطمس آثارها كليًا ، يتشبث آدن بـ ماهيجاي و تتعلق ماهيجاي بجسد آدن ، تُحلق فوقهما المكوكات لتعلن رؤيتها لهما ، تشكل المكوكات حصارًا فوقهما ، يزداد تلويح و إصرار من بالجانب الأخر لآدن و ماهيجاي بعبور النهر و هما لا يعلما أو يدركا كيف سيفعلان ذلك ، من بالجانب الأخر يبدو عليهم عدم رؤية المكوكات الآلية ، كلما ازدادت حُمرة السماء كلما اقتربت المكوكات لأسفل و ازداد تلويح من بالجانب الأخر لهما بالعبور ، يزداد الأمر سوءا ، تزداد نبضات قلبيهما و يرتفع إحساسهما بالخوف و الرعب الممتزج بالأمان الناتج عن عناق أحدهما للآخر ، يعانق آدن ماهيجاي بشدة و كأنما يدسها داخل تجويف صدره ،

تقترب المكوكات الآلية لأسفل منذرة بهبوط بعضهم لاحتجاز آدن و ماهيجاي أو ربما القضاء عليهما فورًا بلا تردد ....

يحلق سرب الطيور فوق آدن و ماهيجاي ، يحلق فوقهما مباشرة ليحول بينهما و بين المكوكات الآلية ، يعلو صوت تغريد الطيور ، تنبعث من جديد رائحة العطور ، يتوقف معدل هبوط المكوكات لأسفل ، يستقر حالها ، تستمر حُمرة السماء ، يستمر تلويح من بالجانب الأخر لهما بسرعة العبور ، يبدأ سرب الطيور بالتحرك رويدًا رويدًا نحو النهر ، يتحرك و يقف ثم يتحرك و كأنما يريد لآدن و ماهيجاي أن يلحقا به ، سرب الطيور يأمل ذلك و يطلبه بالفعل ، هذا ما سيدركه من يرى المشهد ، ينظر آدن لماهيجاي ، بلا كلمات تقال أو مناقشات حوارية ، تومأ ماهيجاي لآدن بالقبول و الاستعداد لذلك ، ليس لديهما أي خيارات أو بدائل ، ليس لديهما أية فرصة للنجاة سوى الإصغاء و الإذعان لما أمامهما من مؤشرات و علامات و دلائل ، يبدءان بالتحرك نحو الهبوط لصفحة النهر ، يسيران تحت سرب الطيور ، و ما زالت المكوكات تقف كما هي لا تحرك ساكنًا ، يبدو أن الطيور هي من قامت بدور أوراق الشجر لكليهما ، هي من بُعثت طوقًا لنجاتهما ، و كذلك كانوا من بالجانب الأخر من النهر هم أيضًا طوق نجاة و مؤشر و دلالة على القبول بمقترحات سرب الطيور ، ينزلا النهر ، تبدأ السيقان بالاختفاء تدريجيًا ، تصل ماء النهر لتواري ما يواري عورتهما ، يزيد تشبث كلا منهما بالآخر ، يطفو شعر ماهيجاي خلفها على سطح النهر ليختلط لونه الأحمر بزرقته ، تختفي صدورهما ، يصل منسوب الماء لما فوق أكتافهما ، يتنفسا بروية و عمق ، ينظرا لبعضهما البعض و كأنما هي نظرة الوداع الأخيرة التي لن يعقبها شيء ، تبدأ قبلة طويلة بينهما ، يزداد تغريد الطيور فوقهما سعادة و انتشاء ، تزداد رائحة العطور النفاذة الفواحة المثيرة بأنفهما ، تنزلقا رأسيهما لأسفل ، ليختفيا تمامًا عن

أنظار الطيور و أنظار من بالجانب الآخر ، تعود الطيور للتحليق بعيدا، يعود من بالجانب الآخر لما كانوا عليه قبل أن يلحظوا آدن و ماهيجاي ، يتسامرون و يضحكون و يتبادلون الحوارات و النظرات ، تختفي من فوق صفحة النهر فقاعات الهواء التي يزفر بها من يغرق أسفله ، يرقدا آدن و ماهيجاي متعانقان متشبثان ببعضهما البعض في قاع النهر بلا تنفس أو حراك ....

طرقاتٌ متوالية على باب خشبي ، تتصاعد وتيرتها من الخفة حتى تصل لطرقات عنيفة تصم الأذان ، تدخل أمنية (ناني) تعلن عن غضبها و خشيتها على آدن الذي مضى على غيابه بغرفته أكثر من يوم كامل ، تُصعق أمنية عندما تجد آدن نائمًا بفراشه متشبثًا و معانقًا لفتاة جميلة بيضاء البشرة ، بشعر أحمر طويل ، تُطلق أمنية شهيقًا خاطفًا مما رأت ليستيقظا آدن و ماهيجاي في وقت واحد بحدقات عين متسعة مشدوهة و زفرة ماء تخرج من أعماقهما ، ليجلسا على الفراش بما يواري عورتهما فقط ، خرقة تواري عورة آدن و ورقة شجر تواري عورة ماهيجاي ، ينظران لأمنية (ناني) كثيرًا ، حتى ينطق آدن فرحًا مخاطبًا أمه ليعرفها بماهيجاي رفيقة دربه ، فترتسم على وجه ماهيجاي ابتسامة جميلة بريئة محاطة بغمازتين على وجنتيها .

تمت بحمد الله

123آدن
محمد مهدي صادق